سلطان الله ومسؤولية الانسان

د.ق.د/سامح موريس

الكتاب: سلطان الله ومسؤولية الانسان

تأليف: الدكتور القس / سامح موريس

الناشر: الكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة

٧ شارع الشيخ ريحان - بجاردن سيتي

التصميمات والجمع التصويري: الكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة

رقم الإيداع بدار الكتب:

الفهرس

المقدمة ----------٥

اولاً : الله كلي القدرة وكلي السلطان ----------٧

ثانياً : الله الخالق وضع قوانين تحكم الخليقة----------٩

ثالثـــاً : القانـــون الادبـــي ----------١٥

رابعاً : خطة الله لخلاص البشـــرية----------٢٧

خامســاً : تدخل الله في حيـاه الانســان ----------٢٩

التطبيقات ----------٥٥

المقدمة

ملاحظات

ما في هذا الموضوع الذي نبدأ في دراسته فسوف نتعرض لقضية تسبب الكثير من الحيرة والارتباك للكثير من الناس. هذه القضية رغم أنها معقدة جداً إلا أنها تمس جانب كبير من واقعنا العملي في الحياة. وفي تناولنا لهذه القضية سوف نجيب على الكثير من الأسئلة التي تواجهنا في حياتنا مع الله. وموضوع القضية هو سلطان الله ومسئولية الانسان, فهل الانسان مسير أم مخير؟ هل الانسان مثل قطع الشطرنج التي يُحركها الله كما يشاء دون أي إرادة من الإنسان؟ هل الحياة عبارة عن فيلم قد سبق الله بكتابة السيناريو الخاص به ويستخدمنا لكي نلعب أدواره المختلفة؟ هل الزواج هو قسمة ونصيب وعلى الانسان الرضا بما قسم الله لكل شخص منا أم أنه يتركنا نختار شريك الحياة؟ هل الله قضى بالأمور أن تحدث وقدرها للإنسان بغض النظر عن إرادة الإنسان؟ أو بمعنى أخر كيف يتوافق سلطان الله مع مسئولية الإنسان؟

هل السلطان الإلهي كامل وحرية الإنسان محدودة؟

أم هل السلطان الإلهي محدود وحريةالإنسان كاملة؟

أم هل السلطان الإلهي كامل وحرية الإنسان كاملة؟

الأسئلة السابقة هي مجموعة من الاسئلة الفلسفية التي نجاوب عنها دائما بفكر المقدر والمكتوب أو القضاء والقدر وغيرها من الأفكار الخاطئة الفاسدة التي تضللنا وتعصف بنا في طريق الحياة مع الله. لأن طرق تفكيرنا وإجابتنا على الأسئلة السابقة تدين الله وتشوه صورته أمام عيوننا, فعدم التوازن بين سلطان الله وبين مسئولية الانسان سوف ينشئ عنه الكثير من السلوكيات المريضة والعقائد المشوهه عن الله.

إذا سلمنا بأن سلطان الله كامل وحرية الإنسان محدودة, كيف يحاسبنا الله على أفعالنا وأخطائنا, وكيف نكون مسئولين عن مصيرنا الأبدي وحريتنا في إتخاذ قراراتنا المحدودة؟! وإذا فرضنا أن حرية الانسان غير محدودة وكاملة وأنه يستطيع أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء, فكيف يسمح الله بهذه الفوضى وكيف يسمح صاحب السلطان بأن يتنازل عن سلطانه للانسان المحدود؟!

من الرائع أن نعرف أن الكلمة المقدسة تجاوبنا وتفك لنا طلاسم هذا الموضوع الشائك المعقد, فدعونا نُسلم أذهاننا إلى الروح القدس لكي يعلن لنا من الكلمة المقدسة كيف يجاوبنا الله عن هذا الأمر ولنبدأ بالحقيقة الأولى.

أولاً: الله كلي القدرة وكلي السلطان

ملاحظات

كلي القدرة

هذا ماعرفناه وفهمناه في الدراسة الخاصة بشخصية الله, فلقد رأينا كيف أن الله كلي القدرة ولايعسر أمامه أمر, وسوف نستعرض معاً بعض الآيات التي تؤكد هذه الحقيقة:

- «وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: اللهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَبَارَكَنِي».(تك٤٨: ٣)

- «مِنْ إِلَهِ أَبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُبَارِكُكَ تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَبَرَكَاتُ الْغَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتُ. بَرَكَاتُ الثَّدْيَيْنِ وَالرَّحِمِ».(تك٤٩: ٢٥)

- «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ».(أي٤٢: ٢)

- «وَأَكُونَ لَكُمْ أَباً وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ يَقُولُ الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»)٢كو٦: ١٨(

- «قَائِلِينَ: نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ, الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي, لأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكْتَ» (رؤ ١١:١٧)

كلي السلطان

- «آيَاتُهُ مَا أَعْظَمَهَا وَعَجَائِبُهُ مَا أَقْوَاهَا! مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ وَسُلْطَانُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ».(دا٤: ٣)

- «وَعِنْدَ انْتِهَاءِ الأَيَّامِ: أَنَا نَبُوخَذْ نَصَّرُ رَفَعْتُ عَيْنَيَّ إِلَى السَّمَاءِ فَرَجَعَ إِلَيَّ عَقْلِي وَبَارَكْتُ الْعَلِيَّ وَسَبَّحْتُ وَحَمَدْتُ الْحَيَّ إِلَى الأَبَدِ الَّذِي سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ وَمَلَكُوتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ كَلاَ شَيْءَ وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ وَلاَ يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ»؟(دا٤: ٣٤, ٣٥)

- «فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ». (دا ٧: ١٤)

ملاحظات

_ «..... وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ». (زك٩: ١٠)

- «مُتَسَلِّطٌ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الأُمَمَ. الْمُتَمَرِّدُونَ لاَ يَرْفَعُنَّ أَنْفُسَهُمْ». (مز٦٦: ٧)

- «فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلاً: دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الأَرْضِ» (مت٢٨: ١٨)

- «لأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى: «إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ وَأَتَرَاءَفُ عَلَى مَنْ أَتَرَاءَفُ». فَإِذاً لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ». (رو٩: ١٥, ١٦)

هل يوجد حدود لسلطان الله؟

هل كلية سلطان الله وقدرته الغير محدودة تجعله يفعل ما يشاء وقتما يشاء؟

وإن وجد هذا الأمر الذي يقيد سلطان وقدرة الله فما عساه يكون هذا الأمر الذي يستطيع أن يقف أمام الله؟ هل يوجد من يملك سلطان أعلى من سلطان الله أم أن الله نفسه هو الذي يفعل هذا؟ دعونا نتقدم رويداً رويداً للإجابة على كل هذه الأسئلة المحيرة. وننتقل إلى الحقيقة الثانية

ملاحظات

ثانياً: الله الخالق وضع قوانين لحكم الخليقة

كما عرفنا وتعلمنا أن الله هو الخالق الوحيد لهذا الكون. فقد خلق السموات والأرض وكل ما فيها. في الأصحاح الأول والثاني من سفر التكوين يتحدث الوحي عن خلق الله للعالم وأيضا في سفر الرؤيا يؤكد الوحي هذه الحقيقة:

- «أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ. لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ».(رؤ٤: ١١)

والله لم يخلق الخليقة بكل ما فيها فقط. بل أيضاً وضع لها القوانين اللازمة لحكم هذه الخليقة, فوضع القوانين التي تحكم حركة الشمس والقمر وكل الكواكب والنجوم التي تسبح في الفضاء. لذلك لا تتصادم هذه الكواكب والنجوم مع بعضها البعض بل تسير وتتحرك وفقاً لنظام وقانون محكم ذاتي العمل. بمعنى أن القانون ينفذ نفسه بنفسه, فلا يحتاج الله في أي وقت أن يرسل ملائكته كي ينفذ قوانينه التي وضعها لحفظ الكون. أيضاً القوانين التي وضعها الله لحكم المادة وحركة الالكترونات حول النواة. هي قوانين في غاية الدقة وكلها تعمل بشكل تلقائي ولاتحتاج من الله أن يفعّلها في أي وقت من الزمن, فلقد خلق الله كل شيء وخلق معه قانونه الذي يفعّله ويشغله.

في الأصحاح الأول من سفر التكوين والثاني نستطيع أن نميز ثلاثة أنواع من الخلائق في عالمنا وكوكبنا الذي نعيش فيه وهي:

الخليقة الغير بيولوجية "المادية"	الخليقة البيولوجية	الخليقة الأدبية لها إرادة حرة
⬇	⬇	⬇
قانون الجاذبية وقوانين الكهرومغناطيسية	قوانين الحياة والغريزة التنفس, الإخراج, ...	القانون الأدبي الذي يحكم العلاقات بينها وبين بعضها وبينها وبين الله

ملاحظات

• نلاحظ في الخليقة الغير بيولوجية «المادية» أن القوانين الخاصة بها هي قوانين مطلقة أي تنفذ نفسها بنفسها ولاتحتاج من الله أن يتدخل لتنفيذها كلما استدعت الحاجة. ونلاحظ أيضاً أن الخليقة البيولوجية «الكائن الحي» خاضعة للقوانين التي تحكم الخليقة الغير بيولوجية «المادية» مثل الجاذبية. فالخليقة البيولوجية لا تستطيع أن تتجاهل قانون الجاذبية بل يجب عليها أن تخضع له وتحترمه, لكن الخليقة الحية البيولوجية لا نخضع فقط للقوانين المادية بل أيضاً وضع الله مجموعة أخرى من القوانين التي هي قوانين الحياة والغرائز والتنفس والإخراج والتكاثر وقد وضعها الله عندما خلق الخليقة لكي تحفظها وتحكمها. أيضاً نستطيع أن نميز نوع أخر من الخلائق خلقه الله ألا وهو الإنسان الذي هو رأس الخليقة وتاجها. فهو الوحيد المخلوق على صورة الله وله شخصية أدبية تميزه كشخصية الله الأدبية.

فلا نستطيع أن نخلط بين خلق الله للحيوانات وبين خلقه للإنسان. فقد أثبت العلماء أن الفرق في التطور بين الشمبانزي الذي هو من أذكى المخلوقات وبين الإنسان كالفرق بين ورقة الشجر وبين الشمبانزي فبينهما مشوار طويل من التطور والإبداع وبينهما الكثير من الكائنات الدقيقة والمعقدة على الرغم من أنه لا يوجد كائن حي بين الشمبانزي والإنسان, فالإنسان خاضع للقوانين المادية وخاضع أيضاً للقوانين البيولوجية لأنه كائن حي له شخصية أدبية وعنده البعد والإحساس الأخلاقي وله القدرة على الاختيار والإبداع.

لذا سُمي بالكائن الأدبي. وكما وضع الله القوانين المادية لحكم العالم المادي ووضع قوانين الحياة لضبط الخليقة البيولوجية. وضع أيضاً القوانين الأخلاقية لحكم الكائن الأدبي وتنظيم العلاقة بينه وبينها, وبينها وبين باقي الخلائق الأخرى باعتباره الأسمى بين المخلوقات, وبينه وبين مثيله.

• ولأن الله هو واضع كل هذه القوانين سواء المادية أو البيولوجية أو الأخلاقية. فهو يحترم هذه القوانين التي وضعها ويتعامل معها ومن خلالها ولايسمح لنفسه على الإطلاق أن يكسر أي منها أو يستهين بإحداها, وهذا على النقيض تماماً من الذي يحدث في مجتمعاتنا. فواضع القوانين يعتبر نفسه أعلى من القانون وبالتالي يعطي لنفسه كل الحق أن يكسره وقتما يشاء وكيفما يشاء. الله لم يجبره أحد على وضع هذه القوانين بل هو الذي وضعها بنفسه ويريد الجميع أن يحترموها ويخضعوا لها. لذلك فالله فهو أول شخص يحترم هذه القوانين وبالطبع هذا لايقلل من شأنه أو إمكانياته في أي شيء.

ملاحظات

• ولقد رتب الله القوانين المادية والبيولوجية والأدبية ترتيباً من حيث الأهمية والسلطان، فوضع القوانين الأدبية والأخلاقية فوق القوانين المادية والبيولوجية وأيضاً القوانين البيولوجية فوق القوانين المادية.. لقد أعطى الله سلطان أعلى للقوانين الأدبية على القوانين البيولوجية والمادية، وكذلك أعطى سلطان أعلى للقوانين البيولوجية على القوانين المادية, بمعنى أخر يتدخل الله من أجل القوانين الأدبية في القوانين البيولوجية والمادية ومن أجل القوانين البيولوجية يتدخل في القوانين المادية.

هنا فقط نستطيع أن نجاوب على السؤال السابق الذي هو: **هل يوجد حدود لسلطان الله أوهل يوجد من يحد الله؟**

للإجابة على هذا السؤال نقول: نعم، يوجد من يُحد الله في قدرته وسلطانه.. وهذا الأمر هو القوانين التي وضعها هو بنفسه، فهو بنفسه وبإرادته وسلطانه يختار أن يكون سلطانه محدد بالقوانين التي وضعها لكي ينظم العلاقات بينه وبين الخلائق المختلفة، علماً بأن هذه القوانين كاملة وبارعة لأنها صادرة عن إله كامل وبارع. وهنا يتدخل الله في القوانين بحسب الترتيب الأعلى من حيث السلطان لهذه القوانين, فربما يتدخل الله ليكسر قانون من القوانين المادية لمصلحة قانون من القوانين البيولوجية أو أن يتدخل ليكسر قانون من القوانين البيولوجية لصالح قانون من القوانين الأدبية والأخلاقية, وهذا ما نراه بوضوح في (خر١٤: ٢١، ٢٢):

- **"وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَانْشَقَّ الْمَاءُ.** فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ».

فالله هنا كسر قانون من القوانين المادية عندما أتى بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة. لقد كسر الله القانون المادي من أجل قانون أدبي ينظم علاقته بالإنسان, فمن أجل موسى عبده الذي وقف أمامه وأمن به وبقدرته صنع الله هذا، وبدون موسى لم يكن ليصنع الله هذه الآية ويكسر القانون المادي.

ملاحظات

برهان أخر:

- «فَتَقَدَّمُوا وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ يَا مُعَلِّمُ إِنَّنَا نَهْلِكُ!» **فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَتَمَوُّجَ الْمَاءِ فَانْتَهَيَا وَصَارَ هُدُوءٌ**" (لو٨: ٢٤)

هنا الرب يسوع بنفسه الذي هو الله الظاهر في الجسد, كسر قانون مادي وانتهر الريح والبحر فصار هدوء... كل هذا بسبب أن تلاميذه خافوا أن يهلكوا فأيقظوه صارخين طالبين معونته. فكسر القانون المادي لأجل قانون أدبي أخلاقي لصالح الانسان, وهذا ليس معناه أن الله يكسر قوانينه في الوقت الذي يشاء. بل هو لايكسر القانون المادي أو البيولوجي إلا لصالح القانون الأدبي, وهذا ما يحدث عندما يقرر الله أن يشفي شخص ما فيكسر القانون البيولوجي لصالح القانون الأدبي.

استعرضنا في بعض من الاسئلة التي تدور في أذهاننا عن سلطان الله ومسئوليته عما يحدث لنا وأيضاً مسئولية الإنسان تجاه هذه الأمور, وبدأنا في الإجابة عن كل هذه الأسئلة وغيرها عن طريق تناول مجموعة من الحقائق, وبدأناها بالحقيقتين الآتيتين:

أولاً: الله كلي القدرة وكلي السلطان.

ثانياً: الله الخالق وضع قوانين لحكم الخليقة.

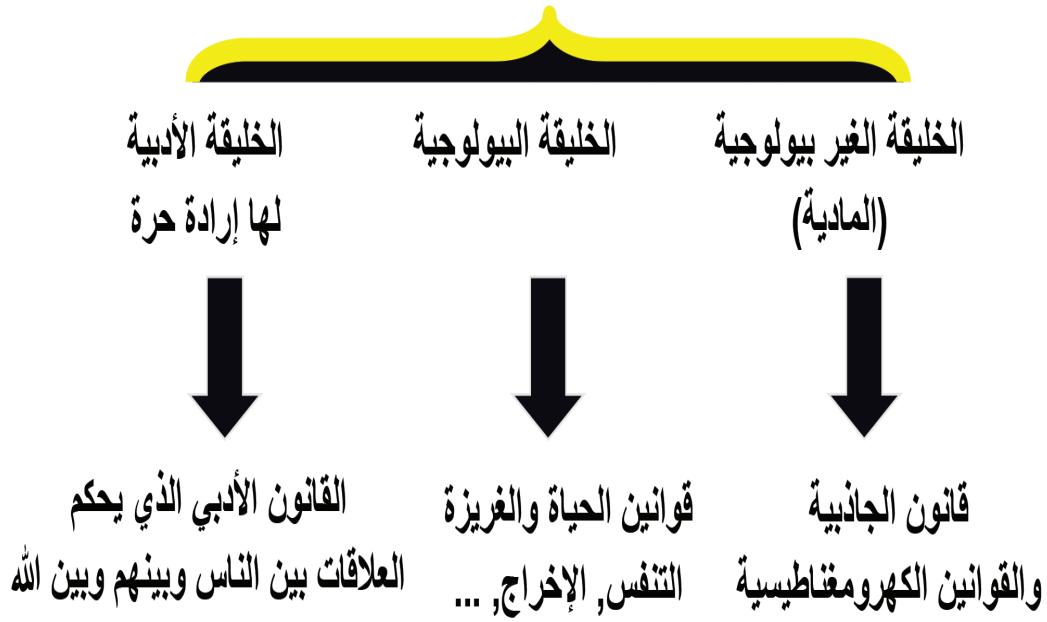

ملاحظات

ولقد رتب الله القوانين المادية والبيولوجية والأدبية ترتيباً من حيث الأهمية والسلطان. فوضع القوانين الأدبية والأخلاقية فوق القوانين المادية والبيولوجية. والقوانين البيولوجية فوق القوانين المادية. فلقد أعطى الله سلطان أعلى للقوانين الأدبية على القوانين البيولوجية والمادية وكذلك أعطى سلطان أعلى للقوانين البيولوجية على القوانين المادية, بمعنى آخر يتدخل الله في القوانين البيولوجية والمادية من أجل القوانين الأدبية ومن أجل القوانين البيولوجية يتدخل في القوانين المادية. في هذه الحلقة نتناول معاً ماهية القانون الأدبي الذي يحكم الخليقة.

ثالثاً: القانون الأدبي

ملاحظات

وهب الله الإنسان الحرية الأدبية "الأخلاقية" في الاختيار, وجعله مسئولاً عن نتيجة اختياراته, ولكن مسئوليته ليست طبيعية فالإنسان مسير في الأمور المادية التي ليست أخلاقية مثل (الشكل, اللون, الجنس, مكان الميلاد, العائلة التي نشأ فيها, القدرات الذهنية) والتي ليس لها تأثير على مصيره الأبدي أو علاقته مع الله أو حتى علاقته مع شريك الحياة.

فنحن من نحدد من هو هذا الشريك أو علاقتي مع أولادي لأننا نختار طريقة تربيتنا لأطفالنا, بينما من الممكن أن تؤثر هذه الأمور على علاقتي بوالديّ لأني لا أملك حرية اختيارهما أو تغييرهما, أي أن الإنسان له الحق في الاختيار في كل الأمور الأدبية الأخلاقية التي تحدد مصيره الأبدي, وهذا ماناراه واضحاً في الآيات التالية:

- **وَأَوْصَى** الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ **فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ**». (تك٢: ١٦, ١٧)

في هذه الآية, نرى بوضوح القانون الأدبي ويتضح جلياً مجال عمل هذا القانون فدائرة حكمه هو الخير والشر, أيضاً نرى نتيجة كسر هذا القانون وهي الموت.

- «أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ **الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ** فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِتَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ» (تث٣٠: ١٩)

في هذه الآية, نرى كيف أن الله قد أعطى كل الحرية للإنسان لكي يختار مصيره الأدبي؛ الحياة والموت, البركة واللعنة فهو يضع أمامنا البركة واللعنة, والحياة والموت ويحثنا وينصحنا أن نختار الحياة لكي نحيا ولكن إذا اخترنا الموت فسوف نموت, فهنا يعيد الله علينا نفس ما قد نادى به في جنة عدن (تك٢: ١٦, ١٧).

- «**هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ** يَقُولُ الرَّبُّ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ. إِنْ **شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ** تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرْضِ. وَإِنْ **أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ** تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ». لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ». (أش١: ١٨- ٢٠)

ملاحظات

يدعونا الله هنا أن نسأل ونناقش لكي نقتنع فمن غير الممكن أن نقبل الحقائق الإيمانية هكذا دون بحث وفهم واقتناع, فلا توجد حقيقة روحية حقيقية غير مقنعة لأفهامنا, فكل ماهو غير مقنع للعقل هو غير منطقي لأنه ليس بحقيقي. الله نفسه يدعونا أن نتحاجج ونناقش ونفهم ونقتنع حتى يكون إيماننا راسخ مؤسس على الصخر, كما يعطي لنا أيضاً الحرية في الاختيار مابين الطاعة والتمرد.

«فَصَارَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: **أَمَا أَسْتَطِيعُ** أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهَذَا الْفَخَّارِيِّ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ يَقُولُ الرَّبُّ؟ **هُودَا** كَالطِّينِ بِيَدِ الْفَخَّارِيِّ أَنْتُمْ هَكَذَا بِيَدِي يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ. تَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْقَلْعِ وَالْهَدْمِ وَالإِهْلاَكِ فَتَرْجِعُ تِلْكَ الأُمَّةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَلَيْهَا عَنْ شَرِّهَا فَأَنْدَمُ عَنِ الشَّرِّ الَّذِي قَصَدْتُ أَنْ أَصْنَعَهُ بِهَا. وَتَارَةً أَتَكَلَّمُ عَلَى أُمَّةٍ وَعَلَى مَمْلَكَةٍ بِالْبِنَاءِ وَالْغَرْسِ فَتَفْعَلُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيَّ فَلاَ تَسْمَعُ لِصَوْتِي فَأَنْدَمُ عَنِ الْخَيْرِ الَّذِي قُلْتُ إِنِّي أُحْسِنُ إِلَيْهَا بِهِ». (إر١٨: ٥- ١٠)

بقراءة هذه الآيات نفهم من أول وهلة أن هناك الكثير من القدرية والقضاء والقدر بينما في اواخر المقطع الكتابي نبتدأ في فهم مايريد أن يقوله الله, فالطين في يد الفخاري ليس له أي حرية اختيار ونحن في يد الله هكذا إذا فسدنا يعود يصنعنا وعاء أخر, ولكن من الملاحظة الدقيقة نجد أن الله يقول « **أَمَا أَسْتَطِيعُ** أَنْ أَصْنَعَ بِكُمْ كَهَذَا الْفَخَّارِيِّ...»

فالله يوضح لنا أنه يستطيع أن يفعل كل شيء فهو الكلي القدرة والسلطان كما درسنا سابقاً, ولكنه لا يتصرف هكذا بل هو في بعض الاحيان يتكلم بالهدم والفناء بالنبوة والرؤى على أمة أو مملكة ثم تقرر هذه الأمة أن تعود إلى صوابها بتوبة ورجوع فيغير الله ماقد تكلم به على هذه الأمة أو المملكة.

فتأديبه لهذه الأمة هو بسبب عصيانها ولذلك عندما ترجع إلى رشدها يمحو الله كل تأديب كان مستحقاً عليها, والعكس صحيح ففي بعض الاوقات يتكلم الله على أمة بالبركة والغنى والوفرة ولكن بسبب عدم طاعتها وتمردها يرجع الله في كل الخير الذي كان عتيداً أن ترثه وذلك بسبب رجوعها من وراء الله,

فما سوف يفعله الله بنا يتوقف على موقفنا منه وعلى رغبتنا في القرب أو البعد عنه أي يتوقف على طاعتنا أو تمردنا وليس هو حكم مسبق مقدر ومكتوب مقضي به من قبل الله لا يتغير. يستطيع الله أن يخلقنا طين يصنع بنا مايريد وقتما يريد.

ملاحظات

لكنه لا ولن يفعل ذلك ويعاملنا هكذا فلقد خلقنا على صورته. فالله ذو الشخصية الأدبية الغير المحدودة الذي له حرية القرار قد خلقنا على صورته ومثاله. لذا لنا نفس سمات الشخصية الأدبية بصورة محدودة التي تفكر وتناقش لتفهم وتقتنع ولها كل الحرية في اتخاذ قراراتها وهذا نراه في الشاهد التالي:

- «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً! (مت٢٣: ٣٧)

فالرب يسوع ينادي على أورشليم ويدينها لقتل أنبياءه ورجم مرسليه. لقد حاول أن يجمع مشتتيها ويضمهم معاً لكنهم لم يريدوا. وهنا لم يستطيع الله أن يفعل شيئاً رغم أنه كلي القدرة والسلطان فاحترم حدود اختياراتهم وقراراتهم, وتهدمت المدينة ولم يبقى فيها حجر على حجر في سنة ٧٠ ميلادية. لم يتدخل الله ليجبر أورشليم مدينة الهيكل أن تستمع اليه وتقبل محبته ورأفته وإرادته رغم أنه يستطيع ذلك، لكن ليست هذه طريقته فهو لايسلب حريتنا التي سبق وأعطاها لنا.

- «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ»(يو١: ١١, ١٢)

من الآية السابقة تتضح حرية الاختيار التي يعطيها الله للإنسان، فهو قد جاء بنفسه إلى خاصته ولكن هؤلاء رفضوه فلم يرغمهم الله على قبوله وطاعته بل احترم حرية اختيارهم، وعلى النقيض من ذلك فكل الذين قبلوه وأطاعوه وسلموه حياتهم احترم أيضاً حرية اختيارهم وأعطاهم نعمة أن يصيروا أبناء الله, فدور الله أن يتكلم ويعلن الخلاص والفداء لكل الناس بطريقة واضحة معلنة ولكن على الانسان أن يقوم بدوره أيضاً في التجاوب مع هذا الصوت الإلهي،

فقيام الله بدوره لايُغفل أو يلغي قيام الإنسان أيضاً بدوره, وهذا مايؤكده الشاهد التالي:

- «هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي».(رؤ٣: ٢٠)

يقف الرب يسوع ويقرع وينادي على كل إنسان ثم يترك له حرية الاختيار أن يقبل أو يرفض فهو لايجبر أحد على قبوله رغم استطاعته ذلك وبالتالي فهو لا يجبر أحد أيضاً على رفضه.

- «لاَ تَضِلُّوا! اللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً. لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَاداً، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً».(غلا٦: ٧, ٨)

وهنا نرى إعلان الله عن هذا القانون الأدبي، منبهاً أن السلوك بغير احترام هذا القانون هو الضلال ومحذراً الإنسان أن كل سير عكس قانون الله الأدبي يعتبر كبرياء وشموخ موجه ضد الله نفسه, وهذا القانون هو:» الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً « بمعنى أخر نستطيع أن نسمي هذا القانون أنه قانون الإرادة الحرة الادبية في نطاق الخير والشر ومسئولية الإنسان عنهما.

محتوى وفحوى القانون الأدبي

محتوى هذا القانون الذي وضعه الله يتلخص في وصية واحدة فقط لم يزد الله عليها لأن منها ينبع الكل، فهي تعتبر جامعة شاملة لكل وصايا الله لنا، وهذه الوصية أَنْ تُحِبَّ - إنها صرخة الله في آذان البشرية منذ القديم وسمعناها في سفر التثنية:

- «إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ». (تث٦: ٥, ٦)

وعندما سُئل الرب يسوع نفسه عن أولى الوصايا: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟»

أجاب وقال: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ».(مر١٢: ٢٨- ٣١)

يملأ هذا الإعلان الواضح عن هذا القانون جنبات الكتاب المقدس بعهديه، فهذا القانون هو الذي يحكم علاقتنا مع الله وأيضاً يحكم علاقتنا مع الآخرين. إنه قانون واحد؛ قانون المحبة التي هي عطاء النفس لله والخضوع له من كل القلب والنفس والفكر والقدرة تتميماً لمسرة مشيئته,

والتضحية والبذل لمصلحة الأخر المخلوق على صورة الله, لذلك فإختيار الحياة هو أن تختار أن تحب الرب الهك وتحب قريبك, وإختيار الموت هو العكس أن تبغض الله فلا تطيعه وتكره قريبك فتريد له الشر وهذا هو الاختيار الأناني في الحياة فعوضاً عن إعطاء وبذل نفسي لله وللأخر اختار أن انفصل عن الله والأخر.

ملاحظات

واضع هذا القانون هو الله نفسه. لذلك يكون من الطبيعي جداً أن يكون القانون هو المحبة لأن طبيعة الله هي المحبة فهو يقدرها ويرى قيمتها وفي نفس الوقت هو يسلك بمقتضى هذا القانون.

صفات القانون الأدبي

القانون الأدبي هو قانون مطلق يُنفذ نفسه بنفسه. فطبيعته هي غير طبيعة القوانين الوضعية التي يضعها البشر. فالقانون الوضعي يحتاج إلى قوة تنفيذية لضبط المخالف وتقديمه للمحاكمة وصدور حكم قضائي بالعقوبة المستحقة طبقاً للقانون. فإذا لم توجد هذه القوة التنفيذية التي تستطيع أن تضبط المخالف وتنفذ العقاب يصبح القانون عاطلاً عن العمل وغير ذي نفع.

وحتى نستطيع أن نتفهم الفرق بين القوانين المطلقة والقوانين غير مطلقة. نتناول مثالاً عن قانون الجاذبية الذي وضعه الله لحكم الطبيعة, فعند ترك القلم من يدك. يسقط على الأرض بفعل هذا القانون فلا يحتاج هذا القانون إلى القوة التنفيذية التي تستطيع أن تضبط المخالف لتخضعه للعقاب فهو قانون مطلق ينفذ نفسه بنفسه, أيضاً إذا رجعنا الى جنة عدن فسنرى كلام الله الواضح عن قانونه الأدبي المطلق: «وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوتُ». (تك٢: ١٧) فالله لن يميت الانسان بفعل محدد إذا قرر الإنسان أن لا يخضع له بل إن عقوبة الخطية متضمنة في داخل القانون نفسه

ففي ذات اللحظة التي أكلا فيها من الشجرة انفتحت أعينهما على الخير والشر وأنفصلا عن الله وهربا منه, فلم يرسل الله ملاكاً لكي يعريهما لينفذ قانونه, بل على العكس لقد صاغ الله قصة سقوط أدم وحواء بطريقة توحي للقارئ أن الله لم يكن يعلم بسقوطهما وأنه سار في الجنة ليسأل عنهما وهو لايدري ماذا حدث.

لكن الله بمقتضى علمه الغير المحدود كان يعلم بكل مايحدث وليس بمقتضى أنه منفذ العقاب. لذلك يظهر من قصة سقوط الإنسان في سفر التكوين أن الله لا يعلم ماذا يحدث. لكن الله يريد أن يُفهمنا أنه غير مسئول عن سقوطهما وأنفصالهما عنه فهو لم ينفذ فيهما القانون بل أن القانون يحتوي على آلية تنفيذ العقاب دون الرجوع إلى واضع القانون, وهذا ما يعبر عنه الكتاب بأن الشَّرُّ يُمِيتُ الشِّرِّيرَ (مز٣٤: ٢١)

ملاحظات

عندما نقرر أن نفصل حياتنا عن مصدر الحياة والنور فماذا ننتظر سوى الموت والظلمة, فالموت هو النتيجة الطبيعية لكسر القانون والانفصال عن الله وليس هو عقاب الله على اختياراتنا بالإنفصال عنه :

- «أَيَأْخُذُ إِنْسَانٌ نَاراً فِي حِضْنِهِ وَلاَ تَحْتَرِقُ ثِيَابُهُ؟ أَوَ يَمْشِي إِنْسَانٌ عَلَى الْجَمْرِ وَلاَ تَكْتَوِي رِجْلاَهُ؟» (أم٦: ٢٧, ٢٨)

درسنا في أن الله كلي القدرة والسلطان وأن الله الخالق وضع مجموعة من القوانين لحكم الخليقة فوضع القوانين المادية لحكم العالم المادي والقوانين البيولوجية لحكم الكائنات الحية والقوانين الادبية لحكم الكائن الادبي ورأينا محتوى هذا القانون الذي هو محبة الله من كل القلب والنفس والقدرة ومحبة القريب كالنفس ورأينا أيضاً مايميز القانون الادبي فهو قانون ينفذ نفسه بنفسه أي أنه ليس في إحتياج أن ينفذه أحد, فالموت هو نتيجة وليس عقاب وسوف نستكمل معاً في هذه الحلقة دراسة القانون الادبي

➢ **فالحرية التي أعطيت لنا في هذا القانون هي حرية أدبية**

هذه الحرية الادبية تختص بالعلاقات بين البشر وليست مادية لذلك فالانسان غير مسئول عن شكله وذكائه وجنسيته ومواهبه وإمكانياته و... وفي هذا لانستطيع أن نتهم الله بأنه غير عادل لان الله يعطي القيمة الاعلى للامور الادبية وليست المادية فسعادة الانسان الحقيقية هي ليست في العالم المادي من شكل وجنسية ووظيفة بل إن سعادته الاصيلة هي في علاقته مع خالقه ومع أخوته في الانسانية ومع نفسه البشرية

فنحن لنا حرية الاختيار في الامور الادبية التي تتحكم في سعادتنا الانسانية وأبديتنا الزمنية وليس لنا حرية في الكثير من الامور المادية التي ليس لها تأثيرعلى سعادتنا, فمثلاً إذا كنا سعداء مع شريك حياتنا وفي علاقتنا مع اولادنا واصدقاءنا ولا نملك القدر الكافي من المال للمعيشة الرغدة فهذا لن يحيل سعادتنا الى جحيم

وعلى العكس إذا كنا نملك المال ولكن لا نستطيع أن نعيش سعداء مع أزواجنا وزوجاتنا ومع اولادنا وأصدقائنا فلن يستطيع المال أن يشري سعادتنا, بل الله في عنايته ورعايته يوفر لكل واحد منا القدر الكافي من الاحتياج الاساسي وهذا ما يخبرنا عنه الكتاب المقدس

الأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلاَ يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ. (مز٣٤: ١٠)

أَيْضاً كُنْتُ فَتىً وَقَدْ شِخْتُ وَلَمْ أَرَ صِدِّيقاً تُخُلِّيَ عَنْهُ وَلاَ ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزاً. (مز٣٧: ٢٥)

➢ **الحرية الأدبية التي لنا هي حرية محدودة فهي نسبية وليست مطلقة**

وذلك لان الانسان مخلوق وهو كائن محدود وبالتالي فالحرية المعطاة له من قبل الله هي حرية محدودة ولايمكن أن يُعطى حرية غير محدودة وذلك لان عليه مسئولية محدودة وبالتالي فسلطانه محدود, فمن الممكن أن نتصور إنسان مثل هتلر مما له من طموح أن يسود ويتحكم في العالم وقد أُعطي له سلطان غير محدود على كل إنسان لكي ينفذ ويحقق اهوائه المريضة,

أيضاً إنسان شرير الدوافع وسيئ السلوك وقد أُعطي سلطة هائلة على العالم الذي نحيا فيه فبكل تأكيد سوف يدمر العالم ويحطم الانسانية ولسوف يعتدي على حرية الاخرين, لذلك أعطى الله للانسان حرية أدبية محدودة حتى لا تصير الحرية الادبية الغير محدودة هي نفسها إعتداء على حرية الاخر وتتحول العلاقات الى فوضى لا يمكن حسابها أو السيطرة عليها وبالتالي أُعطي للانسان مسئولية محدودة على حسب مقدار حريته المحدودة وهذا ما أعلنه لنا الكتاب المقدس

لاَ تَضِلُّوا! اللهُ لاَ يُشْمَخُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضاً. (غلا٦: ٧)

➢ **أساس الحرية الادبية هي المعرفة وحرية الاختيار**

حتى يمكن أن يكون لنا هذه الحرية الادبية يجب اولاً أن يكون عندنا قدر من المعرفة بناء عليها يكون لنا الحرية الادبية في الاختيار, أيضاً العامل الاخر الذي يجب أن يتوافر حتى يكون لنا هذه الحرية الادبية هو أن نكون قادرين على الاختيار من بين الاختيارات المختلفة أي نكون أصحاء من الناحية العقلية فليس من المعقول أن نأتي بشخص غير عاقل وبالتالي ليس عنده القدرة على الاختيار ونطالبه بممارسة حريته الادبية فهو بالطبع لن يستطيع ذلك

لان الله هو واضع هذا القانون وهو يعرف ويدرك أهمية إستمرار بقاء إعلان هذا القانون واضح فهو يتدخل على كلا المحورين السابقين الذين يتأسس عليهما هذا القانون وهما المعرفة وحرية الاختيار, فهو لايتدخل في تغيير القانون نفسه بل هو يتدخل للحفاظ على بقاء القانون واضح

ملاحظات

ومعلن, فعندما تقل درجة إعلان الحق والحقيقة التي هي أساس المعرفة فهو يتدخل لإبقاء المعرفة عالية ومعلنة, فالكثير من التدخلات الالهية في التاريخ وفي حياتنا الشخصية هي تدخلات الهية بقصد الحفاظ على الحق والمعرفة معلنة وواضحة وهذا ما يعلنه الله لنا في الاية التالية:

لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ. إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ. (رو١: ١٨- ٢٠)

فهو يتكلم عن الغضب الحزن الذي يملاء قلب الله على فجور وأثم وخطية البعيدين ويذكرهم بأنه هو بنفسه يحافظ على معرفته معلنة ومدركة وواضحة للعالم كله منذ خلق العالم, فالامور الغير المنظورة التي لايستطيع الانسان أن يراها بسبب محدوديته قد أظهرها الله لنا,

ليس فقط الامور الغير المنظورة بل أيضا قدرته التي هي منذ الازل والى الابد وحتى طبيعته الالهية وصفاته ظاهرة ومدركة بكل ما قد صنع وخلق الله من حولنا لذلك فالانسان لايستطيع أن يدفع بالاعذار أمام الله لكي يبرر جهله وعدم معرفته لان الله بنفسه يحافظ على معرفته معلنة أمام الجميع, يكفي فقط التطلع الى الخليقة من حولنا لكي نتأكد ونؤمن بوجود الخالق العظيم من وراء هذا الكون.

لقد كان الله يراقب ويلاحظ التاريخ فعبر سنوات العهد القديم نلاحظ أن الله كلما رأى أن نور معرفته قد خبا ووضوح رؤيته قد أضمحل يسارع بإرسال نبي من الانبياء ويعطيه القوة لصنع أيات وعجائب ويرسله برسالة واضحة يكلم بها الشعب ليس فقط لشعب اسرائيل (الذي كان هو شعب الله الذي اختاره ليعلن معرفته لكل الشعوب المحيطة)

بل ايضاً الى كل الامم والشعوب في ذلك الوقت وهذا ماناراه في نبؤات النبي إشعياء عن الكثير من الشعوب مثل مصر وأرام وادوم وبلاد العرب وكوش ودمشق, كل هذا من أجل أن يظهر نور المعرفة مرة أخرى فيستعيد الانسان حريته الادبية لكي يختار بين الخير والشر.

لقد كان في الخطة الالهية أن يكتب أُناس الله القديسين الكتاب المقدس وذلك لكي يحافظ الله على إعلان نفسه ثابت وواضح ومعلن ومكتوب فالكتاب المقدس هو واحدة من التدخلات الالهية ليُبقي معرفته معلنة وواضحة أمام الناس.

ملاحظات

على مدار التاريخ في كل مرة كانت تقوم أمة أو مملكة لكي تطفئ نورإعلان الله وتحيط به لكي لا ينتشر وينير الانسانية كان يتدخل بهدم هذه الامة فيعود نور الاعلان مرة أخرى لينير كل إنسان ولكي تعود مرة أخرى حرية الاختيار لهذا الشعب فيستطيعوا أن يقرروا لانفسهم ويختاروا بين الحق والصواب وبين الكذب والضلال

سماح الله بهذا التقدم التكنولوجي الحادث الان في كل الكون فأضحى العالم قرية صغيرة من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها فما يحدث في مكان ما في منطقة نائية على أطراف الكرة الارضية يُنقل في ثواني معدودة الى الطرف الاخر من الكرة الارضية بواسطة الاقمار الصناعية وشبكة تبادل المعلومات(الانترنت) فلا يستطيع أحد الأن أن يُخفي الحقيقة أويغلق الابواب أمام الحق الالهي الذي أصبح في متناول كل إنسان إذا كان يريد أن يعرف الحقيقة

فهكذا الله يتدخل دائماً لكي يحافظ على الحق الالهي معلن فيستطيع الانسان أن يختار وأيضاً يتدخل لكي تظل حرية الانسان في الاختيار متاحة للجميع.

- **الله يتعامل مع الإنسان كفرد داخل مجتمع يؤثر ويتأثر بالمجتمع سلبياً وايجابياً**

خلق الله الانسان في البداية فرد واحداً متمثلاً في أدم ثم قال الله لنصنع معيناً نظيراً لهذا الشخص فنخلق له رفيق فصارت حواء, فعندما وضع الله قانونه الادبي لتنظيم العلاقات لم يضع هذا القانون لتنظيم العلاقة بينه هو وبين الانسان فقط بل وضعه أيضاً لتنظيم العلاقة بين الانسان وأخيه الانسان, أي أن الله وضع هذا القانون لكي ينظم علاقته بخليقته وينظم علاقة الانسان بالمجتمع الذي يعيش فيه,

فعندما يتعامل الله معنا كأفراد فإنه يرانا ويتعامل معنا كأفراد في وسط مجتمع يؤثر في هذا المجتمع سلباً وإيجاباً وأيضاً كأفراد يتأثرون بما في المجتمع سلباً وإيجاباً, فكل واحد منا يؤثر في اصدقائه واولاده وشريك حياته سلباً وإيجاباً على كل المستويات سواء المادية أو النفسية أو الاجتماعية أو الاخلاقية, فإذا تعامل الاباء مع أولادهم بطريقة صحيحة لاشباع احتياجاتهم النفسية والروحية والاجتماعية فسوف ينمون أصحاء والعكس صحيح إذا لم يحرص الاباء على تربية اولادهم تربية نفسية روحية اجتماعية سليمة فسوف ينمون وبهم العديد من المشاكل النفسية

ملاحظات

فلن يستطيعوا أن يكونوا في علاقة صحيحة مع أنفسهم أو حتى مع الغير, لكن هذا التأثير الحادث نتيجة وجودنا في مجتمع رغم أنه يؤثر فينا (سلباً وإيجاباً) له حدود فهو لايحرمنا من حريتنا الادبية, فمثلاً نحن نتأثر سلباً نتيجة وجودنا في المجتمع على المستوى الروحي والاخلاقي وذلك عن طريق القدوة السيئة فننمو وفي أذهاننا نماذج خاطئة عن أشخاص عاشوا بمبادئ أخلاقية غير صحيحة فتبعناهم وشابهناهم وأكتشفنا

بعد ذلك خطأ مبادئهم وفساد قدوتهم ونستطيع نحن أيضاً أن نؤثر أيجاباً عن طريق نفس المبدأ فنعيش قدوة صالحة في القول وفي الفعل أمام الناس فيرى الناس حياتنا ومبادئنا فيبنوها ويعيشوا مقتضاها فتتغير حياتهم, في هذا المبدأ ينبغي علينا أن نقبل كلا البعدين فنحن نؤثر في المجتمع ونتأثر به سلباً وإيجاباً لا نستطيع أن نقبل بعد ونرفض الاخر لان كلاهما مرتبطان معاً ففي هذا هي العدالة, ولانستطيع أن نرفضهما لان في حالة الرفض سوف لا يكون هناك علاقات بين البشر وهذا مرفوض

بالنسبة لنا نحن اولاد الله هذا خبر مفرح لانه كما أن العالم والشيطان يؤثران بطريقة سلبية على المجتمع فالكنيسة لها كل الحق أن تؤثرعلى المجتمع بطريقة ايجابية سواء بإعلان الحق الالهي وبالقدوة الجيدة والتأثير المباشر على حياة الناس وبالاقناع العقلي المنطقي وهذه هي أهمية الكرازة بالانجيل والشهادة عن الاخبار السارة التي لنا, فعندنا وعندنا وحدنا نحن المؤمنين بالرب يسوع المسيح الاجابة المنطقية المقنعة الوحيدة لكل شخص يبحث عن الايمان الحقيقي.

واحدة من مفردات هذا القانون هو أنه عندما نطلب من الله أن يتدخل لزيادة مستوى معرفة الله وحرية اختيار الانسان فإن الله يستجيب لطلباتنا وهذا ما نسميه الصلاة التوسلية أو الشفاعية التي هي في قانونها مرتبطة ارتباط وثيق بحكم الله الادبي للخليقة, كما أن الشيطان موجود ويحاول المنتمين له أن يستخدموا القوى الشيطانية بالسحر والأعمال والعرافة في تثبيت سلطان أبليس والتأثير على اولاد الله,

فأولاد الله أيضاً في سلطانهم أن يطلبوا من الله التدخل لاعلان قوته وحبه لكل بشر فيؤثروا على العالم ويستأثروا كل فكر الى طاعة المسيح, إذا لم ندرك أبعاد هذا القانون أننا نتأثر ومن حقنا أيضاً أن نؤثر فسوف ننسحب تاركين الساحة لابليس وملائكته لكي يظلموا العالم ويضعوه في الشرير ولكن ادراكنا لهذا القانون يجعلنا متنبهين الى أهمية دورنا

ملاحظات

في طلب مجد وقوة الله وإعلان معرفته لكي ينير على كل إنسان فالنور وبهائه دائماً ما يقوى على الظلمة وحلكتها وهذا يبرر ماتراه في التاريخ من نهضات روحية عظيمة أشعلت قلوب أمم وشعوب فهنا الكنيسة طلبت وتضرعت الى الله لكي يفتقدها وشعبها وعلى النقيض تماما فنرى أمم وشعوب لم تحدث في وسطهم أي نهضات روحية وذلك لان الله لم يستطع أن يتدخل

لان الكنيسة لم تطلب التدخلات الالهية لاعلان مجد وحب الله للانسان وهذه هي مسئولية الانسان التي أعطاها الله له فالله مع أنه هو واضع القانون لايستطيع أن يكسره والقانون هو أن الانسان مسئول عن طلب مجد الله وإعلان معرفته إذا لم يتخذ الانسان موقعه ويقوم بمسئوليته فلن يقوم بها أخر, ففهمنا لقانون الله لحكم الخليقة يجعلنا نعرف أن نعيش في طرق الله وبدلاً من التذمر والتمرد على الاحداث والاشخاص نعيش شاكرين الله واثقين في عدالته وحكمته, أيضاً فهمنا لهذا المبدأ يجعلنا ندرك مدى مسئوليتنا لتغيير العالم وسلطاننا الذي لنا لاعلان النور الحقيقي .

درسنا في أن الله كلي القدرة والسلطان وأن الله الخالق وضع مجموعة من القوانين لحكم الخليقة, فوضع القوانين المادية لحكم العالم المادي والقوانين البيولوجية لحكم الكائنات الحية والقوانين الأدبية لحكم الكائن الأدبي. ورأينا ستة أمور تميز هذا القانون وهي:

أولاً : أن محتوى هذا القانون هو محبة الله من كل القلب والنفس والقدرة ومحبة القريب كالنفس.

ثانياً : أن القانون الادبي قانون مطلق ينفذ نفسه بنفسه.

ثالثاً : أن الحرية التي أعطيت لنا في هذا القانون هي حرية أدبية.

رابعاً : أن الحرية الأدبية التي لنا هي حرية محدودة فهي نسبية وليست مطلقة.

خامساً : أساس الحرية الأدبية هي المعرفة وحرية الاختيار.

سادساً : الله يتعامل مع الإنسان كفرد داخل مجتمع يؤثر ويتأثر به سلباً وايجاباً.

ملاحظات

عندما نضع كل هذه العناصر معاً بجانب بعضها البعض نستطيع أن نري صورة متكاملة واضحة لما يريده الله أن يعلنه لنا، كما أنها تجاوب على الكثير من الأسئلة التي قد تحير أذهاننا وقلوبنا، وفي نفس الوقت ترد على اتهامات عدو كل خير التي يوجهها نحو الله والتي في الكثير من الاحيان قد نجح في أن يضعها في داخلنا. إنها تُحمل الإنسان مسئوليته الحقيقية ونتيجة اختياراته التي قرر بنفسه أن يختارها.

في هذه الحلقة، سوف نتناول معاً ما الذي يصنعه الله وما الطريقة التي يتدخل بها

ملاحظات

رابعاً: خطة الله لخلاص البشرية

الله يتدخل في البشرية ليبقي الحق معلناً وحرية اختيار الانسان متاحة وهذا التدخل ليس هو تدخل في الحرية الشخصية للإنسان لكي يملي عليه الله ما يريد أن يصنعه بل هو تدخل في التاريخ الإنساني. وكما رأينا منذ بداية الخليقة وكما هو مسجل في العهد القديم كلما نسى الناس الله وطرقه أرسل الله إليهم نبي من الأنبياء ليذكرهم بناموسه وحقه.

ومنذ عهد إبراهيم بدأ الله ليس فقط أن يتكلم مع الناس عن الخطأ والصواب أو النور والظلمة بل شرع الله في تنفيذ خطته لخلاص الانسان من اختيار البشرية الخاطئ الذي اختارته بالانفصال عن الله حتى يسترد لصالح الانسان حرية اتخاذه لقراره, فإختار الله إبراهيم وإسحق ويعقوب ومنهم الآباء.

وهذه الخطة ليس لها دخل بمصير الأفراد بل هي خطة لصالح البشرية. فهو لم يرغم أحد على قبوله والحياة معه. أيضاً طوال هذه الخطة لم يرفض الله أي إنسان كائناً من كان أراد أن يعيش له وفقاً لمشيئته فمثلاً تدخله في حياة كرنيليوس هو تدخل إلهي بعد وضوح رغبة قلبه في معرفة الله حيث أرسل له ملاكاً يقول له أن يستدعي سمعان بطرس ليكلمه وفي هذا لم يتدخل الله ليجبر كرنيليوس على الإيمان بالرب يسوع.

وعندما ظهر الله بقوة لشاول الطرسوسي وهو في طريقه لكي يحارب المسيحيين لايعتبر هذا إرغاماً أو ضغط عليه لكي يغير من إرادته وهذا ما شرحه بولس بعد الإيمان في رسالته إلى تيموثاوس فهو يعترف أنه فعل هذا بجهل وفي عدم إيمان ظناً منه أن هذا هو مايريده الله أن يفعله وأن مايفعله يرضي الله. فتكلم الله له بهذه الطريقة لكي ينبهه بأن مايفعله لايرضيه ولايسره بل بهذا قد أصبح ضد الله:

- «أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلاً مُجَدِّفاً وَمُضْطَهِداً وَمُفْتَرِياً وَلَكِنَّنِي رُحِمْتُ. لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْلٍ فِي عَدَمِ إِيمَانٍ». (١تي١: ١٣)

وهذا ما نراه في هذه الأيام من غيرة وحماسة وإضطهاد للمسيحية ظناً من فاعليها أنهم يرضون الله ويطيعونه. لذا, يصنع الله الأمر نفسه بأن يعلن ذاته لهؤلاء الناس تارة برؤى وتارة بأحلام فيفهمون أن ما يصنعونه هو ضد الله فيقبلونه مخلصاً وروباً وفادياً.

ملاحظات

أحيانا يتدخل الله تدخلات خارقة للطبيعة لا ليرغم الإنسان أن يفعل ما لايريد بل ليساعده ويشجعه أن يفعل ما يريد أي ليوفر للإنسان الإرادة الحرة حتى يستطيع أن يفعل الصلاح.

يحفظ الله العالم من الهلاك ليعطي للإنسان فرصة التوبة والرجوع, فالعالم الذي نعيش فيه يحتوي في ذاته على أسباب تدميره والتي تتمثل في الكم الهائل من القنابل النووية وأنواع البكتريا والفيروسات التي اخترعها العلماء خصيصاً لكي يدمروا البلاد الأخرى, فإذا ما قرر الله أن يسحب يد رحمته وطول أناته عن هذا العالم فلسوف يحترق ويتدمر نهائياً في لحظات معدودة.

ويبقى السؤال وهو: لماذا اختار الله أُناس لكي يحقق بهم خطته وينفذها في هذا العالم بينما لم يختار الباقين في ذلك. أليس هذا ظلماً وجوراً؟ لماذا اختار الله يعقوب ولم يختار عيسو؟ لماذا اختار راحاب على الرغم من أنها ليست من شعب الله؟

أراد الله أن يعلمنا ويفهمنا أن هذا الطريق هو طريق النعمة للذي لايستحق, فيعقوب وراحاب وغيرهم كثيرين لم يكونوا مستحقين رحمة ومحبة الله لهم. إنها النعمة التي تعطي وتغدق العطاء لمن لايستحق.

أيضا اختار الله داود لكي يتمم به خطته لأنه وجد قلب داود حسب قلبه, واختار الله إبراهيم لأجل إيمانه, وصموئيل لأجل طاعته. في كل مرة اختار الله شخصاً لكي يتمم به مشيئته اختاره لسبب محدد وواضح وليس لكي يحقق مزاجه الشخصي.

ملاحظات

خامساً: تدخل الله في حياة الإنسان

يتدخل الله في حياة الإنسان بصور مختلفة وبطريقة لا تسلبنا حريتنا ولا تدفعنا رغماً عنا إلى إتخاذ قرار عكس إرادتنا. بل هو يتدخل لكي يرفع مستوى وقيمة الحق الإلهي وأيضاً لكي يوفر للإنسان الحرية الكاملة لكي يختار اختياراً حراً فمثلاً الله يتدخل:

▪ بأعمال الرحمة والعناية

«لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ.» (مت٥: ٤٥). فالله مُصر كل الإصرار على أن يبارك الأشرار كما يبارك الأبرار حتى تلين قلوبهم وتنفتح لرسالة الإنجيل فيتخذوا قرارات صحيحة ويرجعوا إلى الله الحي.

▪ بالإنذار والتأديب

مثل شعب نينوى الذين أرسل الله إليهم يونان بإنذار فرجعوا عن طرقهم وتابوا إلى الله نادمين على الشر. فالله لم يجبرهم على التوبة والرجوع بل هم من قرروا أن يسمعوا صوت الله الذي ينادي عليهم: «فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنْتَ شَفِقْتَ عَلَى الْيَقْطِينَةِ الَّتِي لَمْ تَتْعَبْ فِيهَا وَلاَ رَبَّيْتَهَا الَّتِي بِنْتَ لَيْلَةٍ كَانَتْ وَبِنْتَ لَيْلَةٍ هَلَكَتْ. أَفَلاَ أَشْفَقُ أَنَا عَلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا أَكْثَرُ مِنِ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ رِبْوَةً مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لاَ يَعْرِفُونَ يَمِينَهُمْ مِنْ شِمَالِهِمْ وَبَهَائِمُ كَثِيرَةٌ!». (يون٤: ١٠, ١١). وفي نفس الوقت نرى أمم وشعوب يتكلم الله إليهم بالإنذار والتأديب ولكنهم لايسمعوا ولايرجعوا.

▪ بحسب ما يسمح له الفرد

يتدخل الله في حياتنا بقدر ما نسمح نحن له أن يتدخل, وهذا ما يفسر لنا سبب إستطاعة الله أن يتدخل في حياة أولاده أكثر من إمكانية تدخله في حياة الآخرين. فأولاده أي المؤمنين به يستطيع الله أن يتدخل في حياتهم بطريقة أعمق لأنهم يسمحون له بذلك وقد أعطوه الحق أن يتدخل لأنه يعيش في داخلهم. أيضاً درجة إستطاعة الله أن يتدخل في حياة أولاده متفاوتة فليس كل المؤمنين به يعطونه الحق الكامل والحرية أن يتدخل ويصنع ما يشاء. فالبعض يمسك على الله الكثير من الأمور التي لا يريده أن يتدخل فيها وبالتالي فالله يحترم حرية إرادة الإنسان فيرفض أن يتدخل,

ملاحظات

فليس كل أولاد الله يستطيعون أن يختبروا حضور الله بنفس المقدار أو أن يروه في ظروف حياتهم سواء الحزينة أو السعيدة بنفس الوضوح. ليس لأن الله عنده محاباة فيفضل شخص عن أخر بل لأن الإنسان هو من يختار درجة قربه من الله وليس الله هو من يقرر درجة القرب هذه. وفي الآيات التالية نرى كيف أن تدخل الله وقربه من حياتنا يتوقف على مقدار انفتاحنا واقترابنا وطلبنا إياه:

- «اِقْتَرِبُوا إِلَى اللَّهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ» (يع٤: ٨)

- «وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ. «(إر٢٩: ١٣)

- «اِلْتَفِتُوا إِلَيَّ وَاخْلُصُوا يَا جَمِيعَ أَقَاصِي الأَرْضِ لأَنِّي أَنَا اللَّهُ وَلَيْسَ آخَرَ.»
(إش٤٥: ٢٢)

- «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ». (رو٨: ٢٨)

مبادئ تدخل الله في حياة الإنسان

على الرغم من كوننا أفراد في مجتمع نتأثر ونؤثر فيه سلباً وإيجاباً، فالله لايتركنا في العالم لتجوز علينا كل تجارب الشرير وخاصة المؤمنون به، فهو يتدخل لكي يحمي المؤمنين به بالدرجة التي تجعله في نفس الوقت لايحد حرية الآخرين أو يغير قراراتهم التي اتخذوها رغماً عنهم، لذلك لايوجد ما نسميه القضاء والقدر أو المقدر والمكتوب بل هي تدخلات إلهية وفقاً لمبادئ محددة وهي:

▪ الله لايسمح أن تجرب فوق ما نستطيع

يضع الله الحدود للشرير وأعوانه لكي لا يدعنا تجرب فوق ما نستطيع أن نحتمل, فهو يعلم قدرتنا وطاقتنا على الاحتمال.

▪ يعطي مع التجربة المنفذ

سمح الله لإخوة يوسف أن يلقوه في البئر لكنه كان يحميه من أن يُقتل. أيضاً سمح الله أن يُظلم في بيت فوطيفار فوضع في السجن السياسي لكن الله أعطاه نعمة في عيني السجان لكي يستطيع أن يحتمل فترة السجن فأقامه على المسجونين.

ملاحظات

- «لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضاً الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا». (١كو١٠: ١٣)

■ **يستخدم التجربة للتزكية للأفضل**

- «وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضاًفِي الضِّيقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْراً وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا». (رو٤: ٣- ٥)

- «الَّذِي بِهِ تَبْتَهِجُونَ، مَعَ أَنَّكُمُ الآنَ - إِنْ كَانَ يَجِبُ - تُحْزَنُونَ بِسِيراً بِتَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، لِكَيْ تَكُونَ تَزْكِيَةُ إِيمَانِكُمْ، وَهِيَ أَثْمَنُ مِنَ الذَّهَبِ الْفَانِي، مَعَ أَنَّهُ يُمْتَحَنُ بِالنَّارِ، تُوجَدُلِلْمَدْحِ وَالْكَرَامَةِ وَالْمَجْدِ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ». (١بط١: ٦, ٧)

- «عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْراً. وَأَمَّا الصَّبْرُ فَلْيَكُنْ لَهُ عَمَلٌ تَامٌّ، لِكَيْ تَكُونُوا تَامِّينَ وَكَامِلِينَ غَيْرَ نَاقِصِينَ فِي شَيْءٍ». (يع١: ٢)

■ **الله يكون معنا في وسط التجربة**

- «لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ. أُرَفِّعُهُ لأَنَّهُ عَرَفَ اسْمِي. يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ. مَعَهُ أَنَا فِي الضِّيقِ. أُنْقِذُهُ وَأُمَجِّدُهُ. مِنْ طُولِ الأَيَّامِ أُشْبِعُهُ وَأُرِيهِ خَلاَصِي». (مز٩١: ١٤, ١٦). ففي عمق التجربة نجد الله معنا يتحد بنا ويمسك بيدنا، وهذا مايعلنه لنا الكتاب في قصة الفتية الثلاثة. فعندما ألقاهم نبوخذ نصر في أتون النار وكانوا ثلاثة أشخاص. رأى الملك ومن معه رابعاً وهو الشبيه بإبن الآلهة يتمشى معهم في الاتون:

- «حِينَئِذٍ تَحَيَّرَ نَبُوخَذْنَصَّرُ الْمَلِكُ وَقَامَ مُسْرِعاً وَسَأَلَ مُشِيرِيهِ: [أَلَمْ نُلْقِ ثَلاَثَةَ رِجَالٍ مُوثَقِينَ فِي وَسَطِ النَّارِ؟] فَأَجَابُوا: [صَحِيحٌ أَيُّهَا الْمَلِكُ]. فَقَالَ: [هَا أَنَا نَاظِرٌ أَرْبَعَةَ رِجَالٍ مَحْلُولِينَ يَتَمَشَّوْنَ فِي وَسَطِ النَّارِ وَمَا بِهِمْ ضَرَرٌوَمَنْظَرالرَّابِعِ شَبِيهٌ بِابْنِ الآلِهَةِ]». (دا٣: ٢٤, ٢٥)

- «فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ». (إش٦٣: ٩)

ملاحظات

▪ يحول الشر إلى الخير

يكون الله معنا في وسط الضيق والتجربة وكذلك يحول الشر الذي أراده الشرير إلى خير لنا ولكل المحيطين بنا، وهذا ما نراه أيضاً في سفر دانيال عن الفتية الثلاثة فبعد ما اختبروا اختبار المعية والرفقة الإلهية المذهلة, أمر الملك أن يقدم الفتية الثلاثة على كل ولاية بابل: «حِينَئِذٍ قَدَّمَ الْمَلِكُ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُوَ فِي وِلاَيَةِ بَابِلَ». (دا٣: ٣٠), وعوضاً عن أمر الملك بالالقاء في أتون النار أمر الملك بأن كل إنسان يتكلم على إله الفتية الثلاثة يعاقب: «فَمِنِّي قَدْ صَدَرَ أَمْرٌ بِأَنَّ كُلَّ شَعْبٍ وَأُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَتَكَلَّمُونَ بِالسُّوءِ عَلَى إِلَهِ شَدْرَخَ وَمِيشَخَ وَعَبْدَنَغُو فَإِنَّهُمْ يُصَيَّرُونَ إِرْباً إِرْباً وَتُجْعَلُ بُيُوتُهُمْ مَزْبَلَةً إِذْ لَيْسَ إِلَهٌ آخَرُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَجِّيَ هَكَذَا»(دا٣: ٢٩)

كذلك ماناراه في قصة يوسف بعد اختباره العميق أن الله يرافقه وكان معه في كل أزمة من الأزمات التي مر بها وأخيراً رفعه الله ليصبح ثاني المملكة ويستخدمه لإستبقاء حياة أمم وشعوب كثيرة. فقد قال يوسف لإخوته:»أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرّاً أَمَّا اللهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْراً لِكَيْ يَفْعَلَ كَمَا الْيَوْمَ لِيُحْيِيَ شَعْباً كَثِيراً». (تك٥٠: ٢٠)

ناقشنا السؤال الذي حير الملايين من البشر وهو: هل الإنسان مخير أم مسير؟ هل هو يخضع لما نسميه في مجتمعاتنا العربية القضاء والقدر أو القسمة والنصيب؟ ورأينا كم تبعد هذه الأفكار عما يقوله الكتاب المقدس, فلا يصح أن تكون الاجابة واحدة من تلك الاختيارات سواء مسير أم مخير. فالإنسان ليس مسيراً بالكامل ولا مخيراً بالكامل فهو كائن حر له حرية الاختيارالأدبي أوالأخلاقي سواء في علاقته مع الله أو مع الأخرين.

وهذا البعد هو الذي يحدد سعادته وفرحته سواء هنا على الارض أو في الحياة الابدية, فنحن البشر لنا الحرية الكاملة في الاختيار في أمور عظيمة وهامة تؤثر على سعادتنا ومصيرنا وفي نفس الوقت ليس لنا حرية في اختيار بعض القرارات التي عادة يكون تأثيرها على حياتنا بلا قيمة تذكر. وفي رحلتنا هذه- حتى نستطيع أن نفهم الخط الفاصل مابين هذا وذاك- ذكرنا أن الله وضع قانون لحكم الحياة, فخلق الطبيعة ووضع لها القانون الذي يحكمها وكذلك خلق الكائن الحي ووضع له القانون الذي يحكمه. خلق الله الإنسان كائن أدبى حر ومسئول ووضع له قانون الحرية والمسئولية الذي به يحكم هذا الكائن الادبي، وتكلمنا عن عناصر هذا القانون الستة التي تُكمل بعضها البعض والتي ترسم صورة متكاملة لعناصرهذا القانون والتي تُجيب على العديد من التساؤلات التي تملأ عقولنا وقلوبنا.

ملاحظات

في هذه الحلقة، سوف نبدأ معاً في استعراض بعض القضايا الشهيرة الموجودة في الكتاب المقدس والمطروحة أيضاً على الساحة الإيمانية في المجتمع المسيحي والتي تبدو لأول وهلة أنها متناقضة مع كل ما درسناه في الحلقات الماضية.

أشهر هذه القضايا هو مانسميه **قضية الإختيار**، بمعنى هل المؤمنون مختارون؟ وهل هم مختارون لانهم اختاروا أن يؤمنوا بالرب يسوع أم أن المسيح قد اختارهم بغير إرادتهم وبحسب علمه السابق تم تعينهم للخلاص؟ وإذا كان هذا هو مفهوم الاختيار، فهل هذا يتناقض مع حرية اختيار الانسان في تقرير مصيره الأدبي والسلطان الإلهي؟

نستعرض الكثير من الآيات التي تتكلم عن هذا الموضوع «الاختيار»:

- «١بُولُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ بِمَشِيئَةِ اللهِ، إِلَى الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ فِي أَفَسُسَ، وَالْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. ٢نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. ٣مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، ٤كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، ٥إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، ٦لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ. ٧الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، ٨الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ، ٩إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، ١٠لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ ١١الَّذِي فِيهِ أَيْضاً نِلْنَا نَصِيباً، مُعَيَّنِينَ سَابِقاً حَسَبَ قَصْدِ الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ، ١٢لِنَكُونَ لِمَدْحِ مَجْدِهِ، نَحْنُ الَّذِينَ قَدْ سَبَقَ رَجَاؤُنَا فِي الْمَسِيحِ. ١٣الَّذِي فِيهِ أَيْضاً أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمْ، الَّذِي فِيهِ أَيْضاً إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ» (أفسس ١ : ١ - ١٣)

- «سَلِّمُوا عَلَى رُوفُسَ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ وَعَلَى أُمِّهِ أُمِّي» (رومية ١٦ : ١٣)

- «عَالِمِينَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ اللهِ اخْتِيَارَكُمْ» (١تس١: ٤)

- «وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ». (٢تس٢: ١٣)

ملاحظات

- «لأَجْلِ ذَلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضاً عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ».(٢تي٢: ١٠)

- «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ فَهَؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ فَهَؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ فَهَؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضاً». (رو٨: ٢٩, ٣٠)

- «بُطْرُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى الْمُتَغَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ، الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِتُكْثَرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ». (١بط١: ١, ٢)

- «لأَنَّ كَثِيرِينَ يُدْعَوْنَ وَقَلِيلِينَ يُنْتَخَبُونَ». (مت٢٢: ١٤)

- «وَلَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ الأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلَكِنْ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ الأَيَّامُ.» (مت٢٤: ٢٢)

- «لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً». (مت٢٤: ٢٤)

- «مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ!» (رو٨: ٣٣)

- «فَكَذَلِكَ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ أَيْضاً قَدْ حَصَلَتْ بَقِيَّةٌ حَسَبَ اخْتِيَارِ النِّعْمَةِ». (رو١١: ٥)

- «فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ احْشَاءَ رَأْفَاتٍ، لُطْفاً، وَتَوَاضُعاً، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أناة» (كو٣: ١٢)

- «لأَجْلِ ذَلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضاً عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ». (٢تي٢: ١٠)

- «هَؤُلاَءِ سَيُحَارِبُونَ الْخَروفَ (الْحَمَل)، والخروف (الحمل) يَغْلِبُهُمْ، لأَنَّهُ رَبُّ الأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُوُّونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ». (رؤ١٧: ١٤)

ملاحظات

فسر البعض هذه الآيات وغيرها التي تتكلم عن نفس هذا الموضوع بالطريقة التالية: إن كل البشرية كان مآلها الضياع والضلال ونتيجة لذلك فالكل مصيره الهلاك الأبدي، وليس هذا فقط بل البشرية في ضلالها أضحت غير قادرة على سماع صوت النداء الالهي أو حتى قادرة على وضع إيمانها في الاله الحي وهذا ليس خطأ الله بل هو خطأ الانسان ومسئوليته,

ولكن الله في رحمته الكثيرة مد يده ليختار بعض من الناس لينعم عليهم بالإيمان في شخصه ويعطيهم النعمة الإلهية لينالوا الخلاص الإلهي، أي أن كلا من الايمان والنعمة هما عطايا إلهية، ولايمكن للإنسان أن ينالهما بنفسه.

وبحسب هذا المفهوم يصنع الله كل شيء، فهو المسئول عن تقديم الخلاص للجنس البشري وأيضاً هو المسئول عن قبول الخلاص من ناحية البشرية، وللتدليل على هذا يسوقون قصة معجزة إقامة لعازر فالرب يسوع قد أقام لعازر من الموت دون أدنى مشاركة من لعازر نفسه فهو لم يستطيع أن يفعل شيئاً لأنه ميت في قبره فليس له قدرة على الحياة.

هذا الفكر نجده في عقول الكثيرين من المؤمنين، ولكنه يتناقض مع كون الإنسان كائن أدبي مسئول وله حرية اختيار تحديد مصيره الأدبي، فهذا الفكر يعطي الله السلطان المطلق على حياة الانسان وبالتالي يناقض هذا الفكر ما نفهمه عبر صفحات الكتاب المقدس عن حرية الانسان ومسئوليته وقضاء الله وسلطانه وحتى يمكننا تفسير الآيات السابقة وتوضيح العقيدة التي تسمى الاختيار فسنبدأ بالآتي:

ملاحظات

(١) الكفارة هي للجميع

عندما قدم المسيح نفسه كفارة عن الخطية قدم نفسه ليس عن مجموعة من الناس فقط لكي يمحي خطاياهم بل قدم نفسه كفارة عن العالم أجمع أي عن كل البشرية. فإذا كان الله قد اختار بعض الناس لكي يفديهم، فلماذا إذاً مات لأجل الجميع ودفع هذا الثمن الباهظ وهو يعرف أنه لن يُخلص كل البشرية؟ أيضاً هل الله في محبته الغير محدودة التي أحبنا بها من الممكن أن تكون إرادته أن ينقذ فقط قلة قليلة من البشر ويترك الباقي إلى العذاب الأبدي؟

هنا العديد من الآيات التي توضح وتؤكد أن الكفارة للجميع:

- «فَإِذاً كَمَا بِخَطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ هَكَذَا بِبِرٍّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ». (رو٥: ١٨)

- «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ. فَالْجَمِيعُ إِذاً مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ».(٢كو٥: ١٤, ١٥)

- «وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَا عَلَى الأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ» (كو ١: ٢٠)

- «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لاَيَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رو٨:٣٢)

- «الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ»(١تي ٢: ٦)

- «وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ» (عب٢: ٩)

لاتوجد آية واحدة في الكتاب المقدس تذكر أن المسيح بذل نفسه لأجل المؤمنين به أو المختارون فقط.

وعلى نفس هذا المنوال إذا كانت الكفارة هي للجميع، فماذا عن الحب الالهي هل هو للجميع أم هو لبعض من الناس؟ إذا كان للجميع فلماذا يمد الله يده لينقذ مجموعة من الناس ليعطيهم نعمة الخلاص والباقين يهلكون، فكيف يكون هذا حباً؟

ملاحظات

(٢) المحبة والخلاص للجميع

- «لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ». (يو٣: ١٦)

- «الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١تي٢: ٤)

- «لاَ يَتَبَاطَأُ الرَّبُّ عَنْ وَعْدِهِ كَمَا يَحْسِبُ قَوْمٌ التَّبَاطُؤَ. لَكِنَّهُ يَتَأَنَّى عَلَيْنَا، وَهُوَ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ». (٢بط٣: ٩)

- «قُلْ لَهُمْ: حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا. إِرْجِعُوا ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمُ الرَّدِيئَةِ. فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟» (حز٣٣: ١١)

يوضح الوحي في الآية الأخيرة رغبة الله الصادقة المخلصة الباحثة عن الحياة لشعب إسرائيل وكأنه يتوسل إليهم أن يرجعوا عن طرقهم ليحيوا، ويتساءل متعجباً: لماذا قررتم أن تسلموا حياتكم للموت، فإذا كان الله بالحقيقة بيده السلطان للاختيار فلماذا لم يختارهم؟! وهل يُعقل أن الله في موضع كهذا يظهر وكأنه يرجوهم أن يرجعوا اليه ويحتار فيهم لاجل اختيارهم الخاطئ، وفي موضع أخر كأنه يصرف وجه عنهم ليختار فئة أخرى بحسب استحسانه؟!

من هم المختارون ومامعنى كلمة الاختيار؟

هناك ثلاث معان لكلمة الاختيار، وهي تظهر جلياً في كل الآيات السابق عرضها:

١) إن الله اختارنا في المسيح

اختار الله أن يكون الخلاص من خلال تقديم المسيح نفسه كفارة عن جميعنا، بمعنى أخر إنه من خلال عمل المسيح في الصليب الله مد يده لكي يخلصنا، فليس الاختيار هنا هو تعيين جماعة من البشر لنوال نعمة الخلاص، لكن الاختيار هنا معناه إن الله اختار المسيح لتكون لكل من يؤمن به الحياة الأبدية، ويكون هو الطريق والحق والحياة أيضاً، وهذا ما نراه في المقطع الكتابي الذي ذكرناه سابقاً من رسالة أفسس (١ : ١ - ١٣).

ملاحظات

يوضح الرسول بولس في هذا المقطع ماهية الاختيار. ففي بداية الآيات أقرن كلمة «الاختيار» بكلمة «فيه» حتى يخبرنا ويؤكد لنا بأن الاختيار والتعيين هو في المسيح. ثم استمر في باقي الآيات يردد كلمة «فيه» حتى أنه كررها إحدى عشر مرة. إذاً الموضوع الذي يركز عليه الوحي في هذا المقطع الكتابي ليس هو موضوع الاختيار بل الرب يسوع الذي فيه قرر الله أن يختارنا ويُعيننا ويرحمنا ويباركنا وينعم علينا.

٢) إن الله اختار جماعة

المعنى الثاني للاختيار والذي يظهر في الآيات السابقة هو الاختيار الجماعي وليس الاختيار الفردي، بمعنى أن الله اختار جماعة من الناس وليس أفراداً وهذه الجماعة هي الكنيسة, وحتى ندرك بالفعل أن الاختيار الجماعي هو من طرق الله التي يتعامل بها مع الانسان سنرجع إلى العهد القديم عندما صنع الله عهده مع شعب إسرائيل واختارهم جماعة ليعلن نفسه في وسطهم فيكونون أمة شاهدة عنه وحاملة لمجده وليأتي المخلص من وسطهم. وبالمثل في العهد الجديد قطع الله عهده مع الكنيسة التي هي جسده. فكل من يقرر أن ينتمي لهذا الجسد ليصير عضو فيه وذلك عن طريق أن يختار الرب يسوع مخلصاً شخصياً له ويولد الولادة الروحية التي من فوق فهو مختار للحياة الأبدية. وكل من قرر بحرية إرادته أن يرفض هذا الجسد الذي هو الكنيسة وينفصل عنها فهو يقرر بالتالي أن ينفصل عن مصدر الحياة الذي هو الرب يسوع فيكون غير مختار للحياة الأبدية والخلاص. وهنا نفترض أن هناك دائرة وهذه الدائرة هي الجماعة المختارة. فكل من يختار أن يدخل هذه الدائرة فهو بالطبع يصير من المختارين وكل من يريد أن يظل خارج هذه الدائرة فهو من غير المختارين:

- «عَالِمِينَ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ اللهِ اخْتِيَارَكُمْ» (١تس١ : ٤)

- «وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ.» (٢تس٢ : ١٣)

- «لأَجْلِ ذَلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضاً عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ». (٢تي٢: ١٠)

ملاحظات

٣) الإختيار بحسب علم الله السابق

- «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ. وَالَّذِينَ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ فَهَؤُلاَءِ دَعَاهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ دَعَاهُمْ فَهَؤُلاَءِ بَرَّرَهُمْ أَيْضاً. وَالَّذِينَ بَرَّرَهُمْ فَهَؤُلاَءِ مَجَّدَهُمْ أَيْضاً». (رو٨: ٢٩, ٣٠)

يلاحظ في هذا النص أن الله « سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ». فكلمة المعرفة سابقة على كلمة التعيين. فاختياره وتعيينه لهم ليس على أساس الغصب والاجبار وإنما على أساس معرفته السابقة لهم. فهو يختار ويعين الذين يعرف أنهم يقبلون نعمته في كمال حريتهم وإرادتهم.

- «بطْرُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى ... الْمُخْتَارِينَ بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِتُكْثَرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ.» (١بط١: ١, ٢).

أيضاً في هذا الشاهد، يعلن الوحي أن المختارين هم بحسب علمه ومعرفته السابقتين.. وهم سوف يقبلونه رباً ومخلصاً فهم مختارين بحسب علمه السابق وليس حسب إرادته في أن يختار البعض ويرفض البعض الآخر.

هذه هي الثلاث معاني لكلمة «الاختيار» التي وردت في كل الآيات التي تتكلم عن هذا الامر في الكتاب المقدس، وهذه المعاني مبنية ومؤسسة على حقيقة مُتفق عليها وهى أن الكفارة للجميع والحب الالهي هو لكل البشرية وأن الدعوة والأشواق الإلهية هي للعالم أجمع.

أخيراً، في نهاية هذه الحلقة نتناول الآية التي جاءت في رسالة أفسس والتي يُبنى عليها فكرة أن الاختيار هو من الله:

- «لِيُظْهِرَ فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ». (أفسس ٢ : ٧ , ٨)

الكثيرون يفسرون هذه الآية بأن الخلاص هو بالفعل عمل النعمة وطريقة الحصول عليه هو بالإيمان الذي هو أيضاً ليس منا، بمعنى أخر أن جملة «وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ» تعود على الإيمان وعلى النعمة أيضاً, فإذا كان التفسير هكذا فما هو دور الانسان في الخلاص؟! هذا يعني بأن الانسان ليس له دور في الخلاص فالله هو الذي ينعم علينا بالخلاص والله أيضاً هو الذي يعطينا الإيمان لكي نستطيع أن نتجاوب مع الخلاص الالهي المقدم لنا!

ملاحظات

لكن بالتدقيق يتضح لنا التفسير الصحيح لهذه الآية وهو أن الخلاص ليس بحسب إمكانياتنا البشرية بالفعل بل هو بالنعمة التي ليست منا فجملة « وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ» تعود على النعمة، أما الطريقة التي بها ننال الخلاص فهو الإيمان بالرب يسوع المسيح، وهذا الإيمان هو الدور الإنساني الذي به يتجاوب البشر مع النعمة الإلهية المقدمة لنا. يتضح لنا هذا عند الرجوع للغة الأصلية التي كُتب بها العهد الجديد وهي اللغة اليونانية، ففي أصول هذه اللغة ثلاثة أنواع لجنس الكلام فهناك المذكر والمؤنث والمحايد. وبالتدقيق وجدنا أن كلمة «الإيمان» πίστις هي كلمة مؤنثة، وكلمة «ذلك» τοῦτο هي كلمة محايدة، وبالتالي لا يمكن أن تشير كلمة «ذلك» إلى كلمة «الإيمان» لاختلافهما في الجنس بل تشير إلى كلمة «الخلاص» لأن هذه الكلمة تأتي محايدة مثل كلمة «ذلك».

وهناك قول أخر يعترض على كون الإيمان هو دور إنساني يقوم به الشخص حتى يمكنه أن يقبل الخلاص، وذلك حتى لايكون هذا الإيمان هو مصدر افتخار الانسان على الله على إعتبار أن الانسان عمل عملاً عظيماً الذي هو الإيمان حتى يستحق أن ينال به الخلاص. ولكن دعونا ندقق في حجم هذا العمل الذي عمله الإنسان، هل هو بالفعل عمل استحق منه مجهوداً كبيراً أم هو مجرد إعلان قبوله لعمل نعمة الله في قلبه؟ فأين الافتخار إذاً؟ هل قبولنا لعمل النعمة هو إنجاز يدفعنا إلى الافتخار أم تصديقنا للحب الإلهي المجاني يجعلنا نتعالى على مصدر هذا الحب الغير محدود؟ أين الافتخار إذاً ؟!!

نتكلم عن سلطان الله ومسؤلية الإنسان, فالله الذي هو صاحب السلطان قد وضع القوانين الأدبية التي تسمح للإنسان أن يعيش بحرية محدودة، وهذه الحرية المحدودة تكفيه أن يختار بنفسه سعادته في هذا العالم وفي العالم الآتي أيضاً. وقد شرحنا في الحلقات الماضية هذا القانون بأبعاده المختلفة، ثم بدأنا في الحلقة الماضية رحلة لإعادة تفسير بعض القضايا الإيمانية المطروحة على الساحة، متخذين من النظرية التي سبقنا وشرحناها أساساً لهذا التفسير.. وقد بدأنا هذه القضايا بنظرية الاختيار.

في هذه الحلقة، سوف نتناول قضية أخرى يظهر فيها من قرائتنا للآيات وكأن الله يتحكم في إرادة الناس وإختيارتهم في الحياة حيث يقسي من يشاء ويرحم من يشاء. هذه القضية هي قلب فرعون.

قضية قلب فرعون

- «فَإِذاً لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ. لأَنَّهُ يَقُولُ الْكِتَابُ لِفِرْعَوْنَ: «إِنِّي لِهَذَا بِعَيْنِهِ أَقَمْتُكَ لِكَيْ أُظْهِرَ فِيكَ قُوَّتِي وَلِكَيْ يُنَادَى بِاسْمِي فِي كُلِّ الأَرْضِ». فَإِذاً هُوَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ». (رو٩: ١٦- ١٨)

في عدد (١٦): « فَإِذاً لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلاَ لِمَنْ يَسْعَى بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ» يعلن الله بوضوح أنه ليس بسعينا ومجهودنا ننال الرحمة الالهية بل هي رحمة الله التي تستطيع أن تصل الينا في كل زمان ومكان. أيضاً يعتبر هذا العدد تفسيراً توضيحياً يسوقه الرسول بولس لما جاء في سفر الخروج حيث قال موسى لله: «أَرِنِي مَجْدَكَ». فَقَالَ: أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأَّفُ عَلَى مَنْ أَتَرَأَّفُ وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ» (خر ٣٣ : ١٨ , ١٩).

ولنا هنا ملاحظة توضيحية على الآية السابقة وهي أن الله لم يقل أنه يرحم من يشاء ويقسي من يشاء بل أنه يرحم من يشاء ويترأف على من يشاء. فلا يوجد أي حديث عن أنه يقسي من يشاء. ولكن في الأعداد من رسالة رومية يقولها صراحة عن أنه: «يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقَسِّي مَنْ يَشَاءُ». وقد قسى قلب فرعون بالفعل لكي يُظهر فيه قوته أمام الامم والشعوب. فهل هذا فعلاً ما قد صنعه الله بفرعون؛

أنه قد قسى قلبه لكي يضربه بالضربات العشر؟ ولكن ما هو الذنب الذي اقترفه فرعون حتى يعامله الله هكذا؟ وهل هذه هي رحمة الله أنه في رحمته لشعبه يهلك شخص أخر؟ وإذا كان الله يريد أن يُظهر مجده وقوته هل يختار شخصاً ضعيفاً لكي يستعرض عليه قوته الغير محدودة؟ أما كان يكفي ضربة أو اثنتين فقط ثم بعدها يطلق الشعب؟ كل هذه الاسئلة وأكثر منها تدور في أذهاننا وقلوبنا ونحن نقرأ هذه الآيات التي تحكي هذه القصة.

بدايةً يجب علينا أن نرجع إلى القصة الأصلية التي ذُكرت في سفر الخروج حتى نجد إجابة للسؤال التالي الذي يعتبر هو المفتاح الذي يفتح أمامنا هذه القضية وهو: هل كان فرعون في بداية القصة وديع القلب وطلب الله لكن الله رفضه وبدأ يقسي قلبه حتى يعانده. فينتهز الله هذه الفرصة كي يضربه الضربات العشر ويتمجد أمام الأمم والشعوب أم أن فرعون كان قاسي القلب والله استخدم هذه القساوة لكي يظهر مجده؟

ملاحظات

لنجد الاجابة علينا أن ندقق في قرائتنا للأحداث، ونبحث في بداية كلام الله لموسى عن هذا الفرعون وذلك في (خر ٣ : ١٩): «وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَلِكَ مِصْرَ لاَ يَدَعُكُمْ تَمْضُونَ وَلاَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ». في هذه الاية يتكلم الله إلى موسى ليعلن معرفته بهذا الفرعون الذي لن يوافق على خروج الشعب وأنه قاسي القلب، وذلك حتى لاينزعج موسى في مواجهته فرعون عندما يرفض الاخير أن يُطلق الشعب. وأيضاً يعلن الله لموسى الطريقة التي سوف يتبعها لكي يجعل فرعون ينفذ ما طلبه موسى منه، فليس هذا هو قرار الله أن يجعل فرعون يتقسى.

مرة أخرى نقرأ ما كتبه الوحي عن فرعون:

- «فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ.ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: قَلْبُ فِرْعَوْنَ غَلِيظٌ قَدْ أَبَى أَنْ يُطْلِقَ الشَّعْبَ» (خر٧: ١٣, ١٤)

- «وَفَعَلَ عَزَّافُو مِصْرَ كَذَلِكَ بِسِحْرِهِمْ. فَاشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ. ثُمَّ انْصَرَفَ فِرْعَوْنُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ وَلَمْ يُوَجِّهْ قَلْبَهُ إِلَى هَذَا أَيْضاً» (خر٧: ٢٢, ٢٣)

- «فَلَمَّا رَأَى فِرْعَوْنُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ الْفَرَجُ أَغْلَظَ قَلْبَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ.» (خر٨: ١٥)

في كل مرة يحاول موسى مع فرعون أن يسمح لهم بأن يخرجوا من مصر، كان فرعون يُغلظ قلبه ويُقسيه. وفي المرات العديدة التي كان الوحي يذكر فيها هذه العبارة « كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» كأن الوحي يريد أن يقول لنا أن هذا هو ما قد رآه الله في قلب فرعون بحسب علمه ومعرفته الغير محدودة فهو قاسي القلب ومتصلف ولايريد أن يطيع الله.

بعد كل المحاولات التي صنعها موسى مع فرعون ووقوف السحرة أمام موسى في محاولة منهم أن يهزموا القوة التي جاءت بموسى ليقف أمام فرعون مستخدمين سحرهم وشياطينهم لكي يبطلوا قدرة الله، فَقَالَ الْعَزَّافُونَ لِفِرْعَوْنَ: «هَذَا إِصْبَعُ اللهِ». «وَلَكِنِ اشْتَدَّ قَلْبُ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ». (خر٨: ١٩)

لقد اعترف العرافون أمام فرعون بالاعتراف الحسن أن هذه هي قوة الله التي لاطاقة لهم ولا لإنسان بأن يقف أمامها، فما كان من فرعون إلا أن أغلظ قلبه وقساه أكثر فأكثر.. هذا الذي كان حرياً به أن يرجع إلى الله ليتوب عن عناد قلبه وقساوته ويسمح لشعب الله

ملاحظات

حينـذاك أن يخـرج مـن أرض مصـر ليعبـد اللّه فـي أرضـه. ولكنـه لـم يفعـل واسـتمر فـي عنـاد قلبـه وهـذا مـا نقـرأه فـي الآيـات التاليـة:

- «وَلَكِنْ أَغْلَظَ فِرْعَوْنُ قَلْبَهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيْضاً فَلَمْ يُطْلِقِ الشَّعْبَ» (خر٨: ٣٢)

- «وَأَرْسَـلَ فِرْعَـوْنُ وَإِذَا مَوَاشِـي إِسْـرَائِيلَ لَـمْ يَمُـتْ مِنْهَـا وَلاَ وَاحِـدٌ وَلَكِـنْ غَلُـظَ قَلْـبُ فِرْعَـوْنَ فَلَـمْ يُطْلِـقِ الشَّـعْبَ». (خـر٩: ٧)

- «وَلَكِـنْ شَـدَّدَ الـرَّبُّ قَلْـبَ فِرْعَـوْنَ فَلَـمْ يَسْـمَعْ لَهُمَـا كَمَا كَلَّـمَ الرَّبُّ مُوسَـى». (خر٩: ١٢)

وهنـا يذكـر الكتـاب ولأول مـرة أن الـرب شـدد قلـب فرعـون ولكـن بعـد أربـع مـرات (كمـا رأينـا فـي الآيـات السـابقة). لقـد قـرر فرعـون وبإصـرار أن يعانـد المشـيئة الالهيـة وأن يغّلـظ قلبـه فـلا يفهـم ويسـد أذنيـه فـلا يسـمع, وكأن اللّه كان يريـد منـه أن يفهـم ويقبـل القـرار الإلهـي لينفـذه ولكـن أمـام غلاظـة قلبـه قـرر اللّه أن يتركـه لعنـاده وقسـاوته. وهـذا مـا يوضحـه الوحـي فـي رسـالة رومية:

«وَكَمَـا لَـمْ يَسْتَحْسِـنُوا أَنْ يُبْقُـوا اللّهَ فِـي مَعْرِفَتِهِـمْ أَسْـلَمَهُمُ اللّهُ إِلَـى ذِهْـنٍ مَرْفُـوضٍ لِيَفْعَلُـوا مَـا لاَ يَلِيـقُ. « (رو١: ٢٨). لقـد اسـلمه اللّه لقسـاوة قلبـه وعناده. ثـم قـرر أن يسـتخدم حـال قلبـه الغليـظ لكـي يعلـن الحـق وليبقـي المعرفـة الصحيحـة واضحـة معلنـة أمـام أعـين الجميـع. ثـم عـاد مـرة أخـرى فرعـون إلـى قسـاوته «وَلَكِـنْ فِرْعَـوْنُ لَمَّـا رَأَى أَنَّ الْمَطَـرَ وَالْبَـرَدَ وَالرُّعُـودَ انْقَطَعَـتْ عَـادَ يُخْطِـئُ وَأَغْلَـظَ قَلْبَـهُ هُـوَ وَعَبِيـدُهُ. «(خـر٩: ٣٤)

وبالمثـل أيضـاً (قصـة راحـاب الزانيـة) والتـي لـم تكـن مـن شـعب اللّه واسـتضافت الجاسوسـين اللذيـن أرسـلهما يشـوع ليتجسسـا الأرض. لقـد آمنـت بـاللّه وأرادت أن تربـط مصيرهـا بمصيـر شـعبه فـكان هـذا اختيارهـا. فعاملهـا اللّه حسـب رحمتـه وعلمـه أنهـا مخلصـة القلـب: «فَتَكُـونُ الْمَدِينَـةُ وَكُلُّ مَـا فِيهَـا مُحَرَّمـاً لِلـرَّبِّ. رَاحَـابُ الزَّانِيَـةُ فَقَـطْ تَحْيَـا هِـيَ وَكُلُّ مَـنْ مَعَهَـا فِـي الْبَيْـتِ, لأَنَّهَـا قَـدْ خَبَّـأَتِ الْمُرْسَـلَيْنِ اللَّذَيْـنِ أَرْسَـلْنَاهُمَا».(يش٦: ١٧)

مثـال أخـر علـى أن اللّه يعاملنـا بحسـب اختياراتنـا التـي نختارهـا وهـو شـعب الجبعونيـين الذيـن بخدعـة جعلـوا رؤسـاء إسـرائيل يقطعون لهـم عهداً بالسـلام حيـث تظاهـروا أنهـم جـاءوا مـن أرض بعيـدة وهـم قادمـون مـن بلـد مجـاورة لهـم. وقـد صنعـوا كل هـذا حتـى يعاملهـم شـعب إسـرائيل بالرحمـة. وقـد كان. لأنهـم اختـاروا أن يدخلـوا تحـت مظلـة رحمـة اللّه فعاملهـم اللّه بالرحمـة طبقـاً للقانـون الـذي وضعـه.

ملاحظات

قضية قلوب الملوك

- «قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ». (أم٢١: ٣)

هل معنى هذه الآية أنه يوجد بعض الناس بسبب وضعهم ومركزهم لا يوجد لديهم حرية الاختيار بل أن الله يميل قلوبهم إلى حيث يشاء هو وبحسب ما يريده بغض النظر عن إرادتهم الشخصية ورغبتهم وبالتالي يظهر أن الله يتحكم في مصائرهم؟ بالطبع ليس هذا هو المعنى المقصود في هذه الآية. بل أن المعنى هو أنه بسبب الوضع الخاص لبعض هؤلاء الناس مثل الملوك والرؤساء وتأثيرهم على الشعوب التي يحكمونها والأمم المحيطة بهم.

فالله يستخدمهم لتحقيق مشيئته وخطته الالهية للخلاص التي ليس لها علاقة بالاختيارات الشخصية في الحياة. فهو يتمم خطة خلاصه التي وضعها لأجل البشرية دون العبث أوالتحكم في مصائرهم أو اختياراتهم الشخصية لخلاص أنفسهم. الآية هنا تتكلم عن صناعة التاريخ وليس عن مصائر البشر. وأصدق مثال على ذلك هو فرعون ملك مصر, فالله لم يحول قلبه دون إرادته رغماً عنه ليطلق الشعب. بل لقد صنع الله مشيئته رغماً عن إرادة فرعون وعناد قلبه, فهنا الله يتدخل لكي يبقي الحق معلناً أمام شعبه وأمام الأمم المحيطة به فهو يكتب تاريخ معاملات الله مع البشر.

والمثال الثاني هو هيرودس, لم يحول الله قلب هيرودس ويعبث بإرادته حتى لا يقتل أطفال بيت لحم. بل صنع مشيئته وأنقذ الطفل يسوع. وفي نفس الوقت لم يسمح الله لهيرودس أن يقتل أطفال أورشليم تحقيقاً للنبوة التي وردت في سفر إرميا: «هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ نَوْحٌ بُكَاءٌ مُرٌّ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَتَأْبَى أَنْ تَتَعَزَّى عَنْ أَوْلاَدِهَا لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ» (إر٣٠: ١٥) وذلك لأن النبي يرى الحدث يتحقق أمامه لذلك فهو يكتب عنه ويصفه وليس العكس بمعنى أن النبي يتنبأ ثم يبدأ الله في تحقيق هذه النبوة.

إن هذه الآية: «قَلْبُ الْمَلِكِ فِي يَدِ الرَّبِّ كَجَدَاوِلِ مِيَاهٍ حَيْثُمَا شَاءَ يُمِيلُهُ». (أم٢١: ٣) ليس معناها أن البشر كالعرائس في يد الله يحركهم كيفما يشاء دون اعتبار لإرادتهم. بل معناها أنه لا يستطيع أحد أن يقف أمام خطة الله لخلاص العالم. تستطيع فقط أن تختار مصيرك الأبدي فهو ملك يمينك لكن تنفيذ خطة الله لخلاص العالم هي مسئولية الله.

ملاحظات

لذلك يوصينا الله أن نخضع لكل ذي سلطان حتى لو كان غير صالح لأن الله يستطيع أن يستخدم صلاح الملك وأيضاً يستطيع أن يستخدم شره لتحقيق مقاصده لخلاص الشعوب والأمم.

- «أَيُّهَا الْخُدَّامُ، كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّادَةِ، لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطْ، بَلْ لِلْعُنَفَاءِ أَيْضاً».(١بط٢: ٨)

- «لأَنَّ فَوْقَ الْعَالِي عَالِياً يُلاَحِظُ وَالأَعْلَى فَوْقَهُمَا. « (جا٥: ٨)

، نستكمل دراسة ومناقشة بعض القضايا الأخرى الشهيرة والتي فيها تحتار عقولنا وقلوبنا في فهمها، وفي كيفية مصالحة سلطان الله وقدرته مع حرية الإنسان في الاختيار وحقه في تقرير مصيره الأبدي.

ملاحظات

القضية الثالثة: الله خالق الخير وصانع الشر

نستعرض بعض الآيات الموجودة في الكتاب المقدس والتي من الممكن أن تثير الكثير من الحيرة وعدم الفهم لطرق ومبادئ الله

- «لِيَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ.»(إش٤٥: ٦, ٧)

نتساءل ونحن نقرأ هذه الآية: كيف يمكن أن يكون الله هو خالق الشر مع أنه كلي الصلاح؟! ثم كيف يكون خلق الشر أو خلق الظلمة. هل هما بالفعل يحتاجان الى الخلق؟ ولكن هما موجودين. فمن هو الذي أوجدهما؟ كيف جاءت هذه الآية الغريبة في كتابنا المقدس؟

وإذا كان الله هو خالق الخير والشر فلماذا يحاسبنا على اختياراتنا مادام هو صانعهما؟ ولماذا هذه الحيرة. الله يخلق الشر ويتلذذ بأن يشاهدني أختار بل أحتار في الكثير من الاحيان بينهما أم ماذا؟! هذه بعض الأسئلة التي تملأ أذهاننا عن هذه القضية الخطيرة والتي في أغلب الأوقات يشوه حلها صورة وحقيقة الصلاح الإلهي.

- «هَلْ يَسْقُطُ عُصْفُورٌ فِي فَخِّ الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ شَرَكٌ؟ هَلْ يُرْفَعُ فَخٌّ عَنِ الأَرْضِ وَهُوَ لَمْ يُمْسِكْ شَيْئاً؟ أَمْ يُضْرَبُ بِالْبُوقِ فِي مَدِينَةٍ وَالشَّعْبُ لاَ يَرْتَعِدُ؟ هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟» (عا٣: ٥, ٦)

حاولت بعض الديانات حل هذه القضية الشائكة بالإعتقاد أن الله له خمس أوجه مختلفة ثلاثة ذكورية واثنتين أنثوية. الثلاثة أوجه الذكرية تمتاز بدوافعها الخيرية والإثنتين الأخريين ذات دوافع شريرة. إذاً. الشر موجود في الذات الإلهية وبهذه الطريقة يفسرون مصدر الشر ووجوده. وعليه. في النهاية الله هو مصدر كل شئ الخير والشر. فكيف يمكن لنظرية سلطان الله ومسئولية الانسان أن تحل لنا هذه القضية المعقدة وتخلصنا من شكوكنا في صلاح الله ومحبته لنا؟

وحتي نتقدم معاً رويداً رويداً في حل هذه القضية دعونا نطرح السؤال التالي: هل الظلمة تحتاج إلى خلق ؟

في الإجابة على هذا السؤال نقول إن الذي يحتاج إلى الخلق هو النور وهذا ما نجده في سفر التكوين: «وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ.»(تك١: ٣),

ملاحظات

لم يقل الله أبداً في كل الكتاب المقدس وخاصة في سفر بدايات الكون (التكوين) أنه خلق الظلمة كما خلق النور، ولكن الظلمة تتكون وتوجد عندما يغيب النور، فغياب الشئ يعني وجود عكسه، فمثلاً الله هو خالق الحياة وهذا ماتراه في سفر التكوين وفي غياب الحياة يوجد الموت، فالله لم يخلق الموت ولكنه خالق الحياة.

تناول فرانسيس شيفر هذه الفكرة، وهو واحد من الفلاسفة المسيحيين العظماء الذين رحلوا تاركاً لنا ميراثاً هائلاً من الفكر المسيحي المستنير العقلاني الواعي. في كتابه «إله غير صامت» يتناول الوجود ويعّرفه بأنه مبني على وجود الشيء، وعدم وجود الشئ يعني وجود عكسه، فعدم وجود الإستقامة معناه وجود الإعوجاج وعدم وجود الحق معناه وجود الكذب، فخلق الشئ ووجوده معناه وجود عكسه تماماً.

الخطوة الثانية في شرح هذه القضية إجابة السؤال: ما معنى كلمة الشر؟

في اللغة العربية يوجد معنى واحد لكلمة الشر، لكن الكلمة باللغة الإنجليزية تأتي بمعنيين مختلفين عن بعضهما اختلافاً تاماً، الأولى تعني الشر بمعني الخطية أو الفعل الأثيم أو النية الرديئة أو التوجه الشرير وهي باللغة الإنجليزيةIniquity- Wickedness- Evil ونفس هذه الكلمة «الشر» باللغة الإنجليزية تأتي بمعنى كارثة أو مصيبة Disaster - Calamity- Adversity

- «لِيَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. مُصَوِّرُ النُّورِ وَخَالِقُ الظُّلْمَةِ صَانِعُ السَّلاَمِ وَخَالِقُ الشَّرِّ. أَنَا الرَّبُّ صَانِعُ كُلِّ هَذِهِ.» (إش٤٥: ٦, ٧)

كلمة الشر في هذه الآية في اللغة الإنجليزية بمعنى Adversity أي «مصيبة» وليست بمعنى Evil فهو هنا يتكلم عن(المصائب والبراكين والرياح والعواصف) وليس عن فعل وإرادة وإختيار الشر.

- «هَلْ يَسْقُطُ عُصْفُورٌ فِي فَخِّ الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ شَرَكٌ؟ هَلْ يُرْفَعُ فَخٌّ عَنِ الأَرْضِ وَهُوَ لَمْ يُمْسِكْ شَيْئاً؟ أَمْ يُضْرَبُ بِالْبُوقِ فِي مَدِينَةٍ وَالشَّعْبُ لاَ يَرْتَعِدُ؟ هَلْ تَحْدُثُ بَلِيَّةٌ فِي مَدِينَةٍ وَالرَّبُّ لَمْ يَصْنَعْهَا؟» (عا٣: ٥, ٦)

هنا يتسائل الكاتب عن كيف يمكن أن تحدث كارثة أو مصيبة مثل زلزال أو بركان والله لايعلم به، فكلمة البلية هنا معناها الكارثة وليست الخطية والاثم، فالله هو كلي الصلاح والممتلئ محبة لكل خليقته

ملاحظات

وليس هذا فقط بل هو يمد يده بهذه المحبة وهذا الصلاح طوال اليوم وكل يوم لخليقته. فكيف يمكن له أن يؤذيها ويضرها فيخلق الاثم والخطية. الله الذي هو نور وليس فيه ظلمة البتة. كيف له أن يخلق الظلمة ليعيق البشرية؟

-»وَهُوَ أَيْضاً حَكِيمٌ وَيَأْتِي بِالشَّرِّ وَلاَ يَرْجِعُ بِكَلاَمِهِ وَيَقُومُ عَلَى بَيْتِ فَاعِلِي الشَّرِّ وَعَلَى مَعُونَةِ فَاعِلِي الإِثْمِ.«)إش٣١: ٢)

في هذا الشاهد نلاحظ وجود كلا المعنيين عن الشر في ثلاث كلمات متتالية. الكلمة الأولى تأتي بمعنى Disaster أي الكارثة وتنسب هنا إلى الله؛ الحكيم الذي يعرف كل شئ ويستخدم معرفته لخير البشرية وهو أيضاً الذي يعرف وقت حدوث الكوارث والأزمات. والكلمة الثانية والثالثة تأتي بمعنى evildoers و Iniquity أي الذين لهم رغبات ونوايا شريرة خاطئة.

- «لأَجْلِ ذَلِكَ اسْمَعُوا لِي يَا ذَوِي الأَلْبَابِ. حَاشَا لِلَّهِ مِنَ الشَّرِّ وَلِلْقَدِيرِ مِنَ الظُّلْمِ». (أي٣٤: ١٠)

هنا كلمة الشر تأتي بمعنى Iniquity أي أن الله بعيد جداً عن إرادة وفعل الشر.

- «لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ. لأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَداً.» (يع١: ١٣)

هنا كلمة الشرور تعني Evil فالله لايجرب أحداً بالشر لأنه لايضر ويؤذي الإنسان على الإطلاق. ليس فقط الصالحين بل الأشرار أيضاً. فهو لايفكر على الإنسان بالشر بل على العكس هو يبغض الشر لأنه في غير صالح البشرية التي قد خلقها.

ملاحظات

القضية الرابعة: "أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُو". (رو٩: ١١- ١٣)

في بداية مناقشة هذه القضية يجب التعرض لما يسمى بمبادئ التفسير للكتاب المقدس. فالكتاب وضع لنا مبادئ لتفسيره ولم يتركنا حيارى في ذلك. وهذه المبادئ ثابتة لا تتغير كما هو الحال مع القوانين الإلهية التي وضعها الله لحكم الخليقة كما استعرضناها معاً في الحلقات الاولى من هذا الموضوع. فهي قوانين ثابتة.

أما بالنسبة لقوانين ومبادئ التفسير. فلقد كتب الدكتور القس فهيم عزيز في كتابه «علم التفسير» عن هذه المبادئ التي يجب فهمها واتباعها لنصل إلى تفسير صحيح للكتاب المقدس كلمة الله. وفيما يلي مبدأ من هذه المبادئ وهو «القرينة». جاء في كتابه عن القرينة:

«تعتبر دراسة القرينة من أهم عناصر تفهم علم التفسير ويمكن أن يقال بأن القرينة لعبارة أو فقرة ما في أي سفر من أسفار الكتاب المقدس هي كل ما يسبق أو يلحق هذه الفقرة في نفس الأصحاح أو الجزء الكتابي أو كل ما يشابه أو يوازي هذه الفقرة المفسرة.

سواء أكان هذا الجزء الموازي في نفس السفر أو في كتاب أخر. علماً بأن هذه القرينة لابد وأن يكون لها ارتباط بالجزء المفسر بطريقة يمكن معها توضيحه أو القاء الضوء عليه وعلى ملابساته, والقرينة على هذا الأساس مهمة جداً في التفسير. ولطالما أخطأ المفسرون بتجاهلهم هذه الحقيقة ففصلوا الجزء الذي يفسرونه عما يتصل به وكأنه يقف وحده في الكتاب دون أي ارتباط بما يسبقه أو يلحقه»

ولقد تمكنا من استخلاص هذا المبدأ من الآية التالية: «الَّتِي نَتَكَلَّمُ بِهَا أَيْضاً لاَ بِأَقْوَالٍ تُعَلِّمُهَا حِكْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ بَلْ بِمَا يُعَلِّمُهُ الرُّوحُ الْقُدُسُ قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ. «(١كو٢: ١٣).

فمقارنتنا للجزء المراد دراسته مع نظيره ومع قرينته التي كُتب فيها يعطي المعنى الدقيق والواضح للقفرة الكتابية التي نقوم بدراستها.

ملاحظات

والآن دعونا نتناول هذه القضية وهذه الآية في ضوء مبدأ القرينة الذي تكلمنا عنه:

«أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ». (رو٩: ١١- ١٣)

بدراسة القرينة التي جاء فيها هذا المقطع نجد أن موضوع الفقرة هنا هو خطة الله لفداء البشر أو المسار الإلهي الذي اختاره الله لكي ينفذ خطته لخلاص البشرية,

وكما رأينا في دراستنا لمبادئ تدخل الله في حياة الأفراد في الحلقات السابقة وجدنا أن الله يتدخل ليبقي الحق معلناً وليس لكي يحدد مصائر الناس الأبدية.

والسؤال المحوري الذي بإجابته سوف نستطيع أن نحل هذه القضية هو ما معنى أَبْغَضْتُ عِيسُوَ ؟ هل تعني أن الله قد كره عيسو وأحب يعقوب. لكي نجيب على هذا السؤال, دعونا نقرأ الآيات التالية:

- «وَرَفَعَ يَعْقُوبُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا عِيسُو مُقْبِلٌ وَمَعَهُ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ ... وَأَمَّا هُوَ فَاجْتَازَ قُدَّامَهُمْ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَى أَخِيهِ. فَرَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. وَبَكَيَا... فَقَالَ: «مَاذَا مِنْكَ كُلُّ هَذَا الْجَيْشِ الَّذِي صَادَفْتُهُ؟» فَقَالَ: «لأَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي». فَقَالَ عِيسُو: «لِي كَثِيرٌ. يَا أَخِي لِيَكُنْ لَكَ الَّذِي لَكَ». فَقَالَ يَعْقُوبُ: «لاَ. إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ تَأْخُذْ هَدِيَّتِي مِنْ يَدِي لأَنِّي رَأَيْتُ وَجْهَكَ كَمَا يُرَى وَجْهُ اللهِ فَرَضِيتَ عَلَيَّ. خُذْ بَرَكَتِي الَّتِي أُتِيَ بِهَا إِلَيْكَ لأَنَّ اللهَ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَلِي كُلُّ شَيْءٍ». وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَأَخَذَ.» (تك٣٣: ١- ١١)

من هذه الآيات نرى كيف أن الله قد بارك عيسو بركة عظيمة جداً إذ قال ليعقوب «لِي كَثِيرٌ. يَا أَخِي لِيَكُنْ لَكَ الَّذِي لَكَ» فإذا كان الله قد أبغض عيسو بمعنى أنه قد كرهه, فلماذا يباركه الله هكذا ويفيض عليه بكل الغنى المادي الذي باركه به؟ إذاً, فالحب والبغضة هنا لاتعني البركة واللعنة وإلا كان الله قد لعن عيسو فأفقره مادياً.

في هذا الموقف لايُعنى بيعقوب أو بعيسو كأشخاص بل القرينة الكتابية تعني كما قلنا بتدبير النسل الذي سوف يأتي منه المسيح مخلص العالم, فالله قد اختار ابراهيم ثم اختار إسحق الذي ولد عيسو وهو الأكبر ثم يعقوب الأصغر, وبحسب الشريعة فعيسو هو المستحق للبكورية, وبحسب الفكر البشري يأتي المسيح من نسل عيسو الذي هو بحسب الشريعة البكر, لكن فكر الله لم يكن هكذا.

ملاحظات

لا لأن عيسو قد صنع شراً ما فالكتاب يقول: «لأَنَّهُ وَهُمَا لَمْ يُولَدَا بَعْدُ وَلاَ فَعَلاَ خَيْراً أَوْ شَرّاً لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاِخْتِيَارِ لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو». (رو٩: ١١)

ولا لأي سبب أخر سوى أن يعقوب لايستحق البركة. فالآية واضحة أن قصد الله في الاختيار ليس حسب أعمال أحدهما بل حسب النعمة التي يعطيها الله لنا؛ نحن الذين لا نستحق. وهذا هو مفهوم الخلاص الذي يقدمه الله للعالم الذي يُبنى على النعمة التي يمنحها الله وليس حسب الاستحقاق البشري. إنها نعمة مجانية تُعطى لمن لا يستحق.

وهنا لا يتكلم الكتاب عن المصير الروحي لكلا من يعقوب وعيسو. فلا يعني طالما أن الله قد اختار يعقوب فقد اختاره للحياة الابدية وبالتالي فقد اختار عيسو للهلاك الأبدي. فهو لم يتكلم هكذا ففي أغلب الظن سوف نجد يعقوب في السماء وكذلك عيسو أيضاً. فالله له كل الحرية حسب ما يراه مناسباً لخليقته أن يأتي ابنه من يعقوب أو من عيسو.

ملاحظات

القضية الخامسة: افتقاد ذنوب الآباء في الأبناء

- «لاَ تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلاَ تَعْبُدْهُنَّ لأَنِّي أَنَا الرَّبَّ إِلَهَكَ إِلَهٌ غَيُورٌ أَفْتَقِدُ ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ.» (خر ٢٠ : ٥)

- «الرَّبُّ طَوِيلُ الرُّوحِ كَثِيرُ الإِحْسَانِ يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ لكِنَّهُ لا يُبْرِئُ. بَل يَجْعَلُ ذَنْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ إِلَى الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ.» (عدد ١٤ : ١٨)

معنى الآيات السابقة التي تتكلم عن افتقاد ذنب الآباء في الأبناء أن الواقع المادي الذي نراه هو أن ما يفعله الآباء ويرتكبونه من أخطاء يؤثر تأثيراً مباشراً على الأبناء. فمثلاً الأب السكير المدمن الخمر والغير مخلص والقاسي سوف يترك أثاراً وجروحاً وندبات في حياة أبناءه. وهذا يعّد تطبيقاً لأحد عناصر القانون الأدبي الذي درسناه معاً في بداية هذه الدراسة. فمن مكونات هذا القانون أن الانسان فرٌد داخل مجتمع يؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه, لكن الناس قد أخطأوا فهم هذا العنصر في القانون الأدبي وظنوا أن الله سوف يعاقبهم على الشرور التي فعلها الآباء في زمانهم وأنهم ضحايا هذا الاله الظالم المستبد, وعندما رأى الله خطأ فهمهم قال هذه الكلمات:

- «وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ: مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هَذَا الْمَثَلَ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ, قَائِلِينَ: الآبَاءُ أَكَلُوا الْحِصْرِمَ وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ؟ حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ, لاَ يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هَذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ.» (حز١٨: ١ -٣)

- «فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: [الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِماً وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ]. بَلْ: [كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ]. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ.» (إر٣١ : ٢٩ - ٣٠)

أما في العهد الجديد فنجد رد الله واضح في هذه القضية وذلك عندما قابل الرب يسوع الأعمى منذ ولادته: « وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَاناً أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ. فَسَأَلَهُ تلاَمِيذُهُ قَائِلِينَ : يَا مُعَلِّمُ, مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟أَجَابَ يَسُوعُ: لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ, لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ». (يو٩: ١- ٣)

لقد كان فكر اليهود لايزال مشبعاً بهذه الفكرة الخاطئة. فهذا الأعمى قد وُلد هكذا بسبب خطأ والديه وذلك رغم الآيات الموجودة في العهد القديم والتي يتكلم الله فيها بوضوح عن عدم جواز التفوه بهذا القول.

ملاحظات

كيف تتناغم قدرة الله وسلطانه غير المحدودة مع حرية الانسان الادبية المحدودة وحقه في اختيار سعادته الحاضره ورغبته في تقرير مصيره الابدي ومرنا معاً على بعض القضايا التي يقف أمامها فهمنا الخاطئ عن من هو الله وماهي القوانين التي وضعها الله لكي يحكم بها خليقته الادبية ورأينا كيف يتوافق فكر الله وطرقه الصحيحة مع فهمنا ودراستنا للكتاب المقدس فتضاء أذهاننا وتستنير قلوبنا

أما في هذه الحلقة الاخيرة من دراستنا عن سلطان الله وقضاؤه ومسئولية الانسان عن اختياراته فسوف نتناول معاً الوجهة التطبيقية العملية لهذه الدراسة وكيفية الاستفادة عملياً في كل أبعاد علاقتنا سواء مع الله أو مع نفسي أو مع الاخرين من كل ما درسناه في السابق ولذلك ستكون هذه الحلقة عبارة عن مشاركات شخصية عن ما تعلمناه من هذا الموضوع

ملاحظات

التطبيقات

١- هل كلية سلطان الله وقدرته الغير محدودة تجعله يفعل ما يشاء وقتما يشاء ولماذا ؟

٢- لماذا يحتاج الانسان الي القوانين الادبية ؟

٣- لماذا يسمح الله للقوانين التي وضعها ان تحد صفاته ؟

٤- لماذا يسمح الله بحدوث الزلازل والبراكين في العالم والتي تتسبب في موت الالاف من البشر ؟

٥- مامعني أن الله خلق الظلمة ؟

٦- مامعني « أحببت يعقوب وأبغضت عيسو ». (رو ٩: ١١- ١٣)

ملاحظات

٧- كيف يؤثر فهمي لموضوع سلطان الله ومسؤولية الانسان علي قرار زواجي او عملي أو خدمتي ؟

٨- كيف يرتبط التدخل الالهي بدور علي الانسان يجب أن يصنعه ؟

٩- كيف تري الصلاة عنصر من العناصر المؤثرة في التدخلات الالهيه ولماذا؟

١٠- هل حياة الصلاة الشخصية التي تعيشها تعبر عن رايك في السؤال السابق ؟

١١- هل أدركت مسؤليتك الشخصية تجاه العالم الذي تعيش فيه وماذا ستفعل ؟

ملاحظات

ملاحظات شخصية